حديث القرآن عن ملك سليمان
ـ عليه السلام ـ

مقدم من الباحثة
حنان فتحي أحمد
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات – القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

[النمل:١٧]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمّن يشاء، ذي القوة والسلطان، الذي أمره بين الكاف والنون، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وسيد المصلحين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى سائر الأنبياء المصطفين، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، فأسبغ عليهم ربهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأمدهم بالمعجزات الخوارق نصرة وتأييدًا، فاستعانوا بها – عليهم السلام – في إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

وكان سليمان بن داود – عليهما السلام – من جملة الرسل الكرام الذين نوّه الله بذكرهم، ومدحهم في القرآن مدحًا عظيمًا، قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب) [١]، والأوَّاب: هو الرجَّاع بالتوبة إلى الله، صيغة مبالغة، أي: كثير الرجوع إلى الله بالطاعة في أكثر الأوقات وفي أكثر المهمات، وقد قال المولى أولا " **نِعْمَ الْعَبْدُ** " ثم قال بعده (إِنَّهُ أَوَّاب) وهذه الكلمة للتعليل، وهذا يدل على أنه إنما كان نعم العبد لأنه كان أوّابًا[٢].

كما ذكر – عليه السلام – في سور متعددة من سور القرآن؛ وذلك لكثرة المواعظ والعبر المستفادة من حياته ومراحل دعوته بجميع تفاصيلها.

ومن أهم ما ظهر لنا من شخصية سيدنا سليمان – عليه السلام – في القرآن الكريم قوة ملكه وعظمة سلطانه، فقد دعا ربه " **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب** "[٣].

١- ص: ٣٠

٢- مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيميّ الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الرى المتوفى (٦٠٦هـ)، حـ٢٦ ص ٣٨٩ بتصرف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.

٣- ص: ٣٥.

وقد أجاب المولى دعاءه، ووهبه من الملك والسلطان ما لم يهب غيره من الأنبياء،ولتمكين هذا الملك وهبه الله جيشاً عظيمًا، قوامه من جند مختلفين، فكان له جند من الجن، وجند من الإنس، وجند من الطير، وهذا ما صرح به المولى – عز وجل – في قوله **(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)**[1]. وكان لكل صنف من هؤلاء مهمته، كما نوّه المولى بنعم أنعم بها عليه – عليه السلام – كانت له جندًا كنعمة العلم، وتسخير الريح، وإذابة عين القطر، وكان أيضًا لكل نعمة من هذه النعم دور هام في دعمه وسببًا في قوته – عليه السلام–.

وقد استطاع سليمان – عليه السلام – الحفاظ على ملكه وسلطانه وتمكينه في الأرض بما منحه الله من أسباب تمثلت في قوة العلم وقوة الجند، وأرشدنا بذلك أنه بدون هاتين القوتين لا يستطيع الإنسان أن يحقق الغاية التي خلق لأجلها، وهي العبادة، قال تعالى: " **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون** "[2]، كما لا يستطيع القيام بواجب إعمار الأرض، قال تعالى **(هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)**[3].

كما علمنا أيضًا أن بقاء الأمم والتمكين للدين لابد له من قوة تحرسه وتعمل على الحفاظ عليه، وأن القوة المادية بدون علم إلى زوال، وأن العلم بدون قوة مادية تساعد على نشره وتطويره لا فائدة منه.

ولذلك أردت أن ألقى الضوء من خلال هذا البحث على هذا النموذج القرآني مبينة ما منّ الله به عليه من النعم التى استعان بها في الدعوة إلى التوحيد، وتثبيت

١– النمل: ١٧.

٢– الذاريات: ٥٦.

٣– هود: ٦١.

الملك والسلطان، وبناء حضارة نفعت البشرية آنذاك، إنه حقًا كما أثنى عليه ربه " **نِعْمَ الْعَبْدُ** ".

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى:

١- أن هذا الموضوع يبين أن تقوى الله لها ثمرات عظيمة، وأنها شرط للنصر على الأعداء.

٢- أن هذا الموضوع يظهر أهمية القوة لبقاء الأمم، وأن الأمة التي لا تمتلك أسباب القوة إلى زوال.

٣- أن هذا الموضوع يبرز أهمية العلم، وارتباطه الوثيق بالقوة المادية.

٤- أن هذا الموضوع يؤكد ضرورة أن يكون القادة لديهم من الرصيد العلمي والخبرات والتجارب مما يؤهلهم للسياسة الحكيمة.

أسباب اختياري لهذا الموضوع:

كان من الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع:

١- الرغبة في بيان دور القصص القرآني في ترسيخ العقيدة الصحيحة وتثبيت العمل الصالح.

٢- الرغبة في الاهتداء بما في القصص القرآني من دروس وعبر.

٣- الرغبة في بيان جند سليمان – عليه السلام – وأنه لم يكن من العسكر المعهودين بل كان من الجن، والطير، والريح، وعناصر الطبيعة.

٤- الرغبة في بيان أهمية العلم، وأنه كان من جند سليمان وسببًا معينًا له على النصر، حيث كان له دور محوري في مراحل مختلفة في حياته – عليه السلام–.

٥- الحاجة الملحة لتوجيه شباب الأمة نحو العلم والعمل الجاد، وغرس صفات الأنبياء ــ عليهم السلام ــ فيهم.

٦- الرغبة في تصحيح مغالطات وأفكار خاطئة – تتعلق بموضوع البحث – في أذهان العديد من شباب الأمة، حيث أصبحوا لا يلقون للعلم بالًا ويعتقدون أن قوة الأمم و تقدمها يكمن في قوتها المادية فقط.

٧- بيان أن قوة الأمم وبقاءها لا يكون إلا بتكاتف الشعوب والتفافهم حول قادتهم.

٨- بيان أسباب النصر والتمكين في دعوات الرسل السابقين.

٩- الرغبة في إبراز الموضوعات القرآنية بالبحث والدراسة، لتكون زادًا للدعاة والمصلحين بما يتوافق مع طبيعة العصر.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وفصلين، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

الفصل الأول: نعم الله ــ عزوجل ــ على سليمان ــ عليه السلام ــ.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العلم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إرث النبوة.

المطلب الثاني: علم منطق الطير والدواب.

المطلب الثالث: علم القضاء.

المبحث الثاني: الريح.

المبحث الثالث: إذابة عين القطر.

الفصل الثاني: جند سليمان ــ عليه السلام ــ، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجن.

المبحث الثاني: الإنس.

المبحث الثالث: الطير.

الخاتمة: وتشتمل على:

١- أهم النتائج والتوصيات.

ب- الفهارس، وتشتمل على:

١- فهرس المراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

خطوات البحث:

١- الإعتماد في البحث على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بدراسة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية، وذكر أقوال العلماء وفهمهم للنص قدر الطاقة.

٢- استخدمت المنهج الإستقرائي الإستنباطي، القائم على دراسة النص القرآني، وعرض أقوال المفسرين فيه، واستنباط أسباب قوة ملك سيدنا سليمان – عليه السلام – من أقوالهم.

٣- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة مع الحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين.

٤- ذكر اسم الكتاب كاملًا مع اسم مؤلفه والجزء والصفحة والناشر والطبعة عند أول ذكر للكتاب، ثم اكتفى بعد ذلك بذكر اسم الكتاب مختصرًا، والجزء والصفحة.

٥- الترجمة في الحاشية للأعلام المذكورين في صلب البحث عن غير المشتهرين من الصحابة. (ترجمة موجزة).

٦- عزو الأقوال إلى أصحابها، أو الإحالة إلى المصدر المقتبس منه.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، فإن وفقت فإنما هو بفضل الله ومنته، وإن أخطأت فمن نفسي، وحسبي أنني بشر يخطئ ويصيب، والكمال لله وحده، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى الطريق المستقيم.

الفصل الأول

نعم الله على سيدنا سليمان ــ عليه السلام ــ

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العلم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إرث النبوة.

المطلب الثاني: علم منطق الطير والدواب.

المطلب الثالث: علم القضاء.

المبحث الثاني: الريح

المبحث الثالث: إذابة عين القطر

المبحث الأول

نعمة العلم

تمهيد:

من أجل نعم الله على الإنسان نعمة العلم، وهو في اللغة: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه. فالأول: هو المتعدي إلى مفعول واحد، نحو: **(لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ)** [١].

والثاني: المتعدي إلى معفولين، نحو قوله: **(فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ)** [٢].

وأعْلَمتُه وعَلَّمتُه في الأصل واحد، إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم.

وقيل التعليم: تنبيه النفس لتصور المعاني، والتَّعلُّم تنبه النفس لتصور ذلك[٣].

وقد أخبرنا المولى – عز وجل – أنه أنعم على عبديه ونبييه داود وسليمان – عليهما السلام – بنعمة العلم فقال: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِين)** [٤].

١– الأنفال: ٦٠

٢– الممتحنة: ١٠

٣– المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى (٥٠٢هـ)، كتاب العين، مفردة علم، جـ١ ص ٥٨٠، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم – الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤– النمل: ١٥.

بدأت الآية الكريمة بخبر تقريري يؤكد أن المولى – عز وجل– أنعم على سيدنا سليمان بما يمكن له بأن أتاه العلم، وجاء لفظ العلم في الآية نكرة منونة للتقليل، وعلى هذا يكون المراد طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك، وهو أوفق بكون القائل هو الله – عز وجل – فإن كل علم عنده قليل.

وقيل التنوين للتكثير والتعظيم، وهو أوفق بامتنانه عزوجل، فإنه سبحانه هو الملك العظيم، واللائق بشأنه الإمتنان بالعظيم الكثير[١].

وفي الآية إشارة إلى أثر العلم على سلوك المتعلم، حيث عطف المولى – جل شأنه – بالواو في موضع الفاء، فالعرب تقول: أعطيته فشكر ومنعته فصبر، لكن عطف بالواو إشعارًا بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم، وشيء من مواجبه، فأضمر ذلك وعطف عليه التحميد كأنه قال: ولقد أتيناهما علمًا فعملا به، وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الذي فضلنا[٢]. وفي ذلك مدح وثناء لداود وسليمان – عليهما السلام–.

كما أبرزت الآية قيمة العلم، وعظمة المنَة به من الله على عباده، وتفضيل من يؤتاه على كثير من عباد الله المؤمنين.

ولم يذكر المولى في الآية الكريمة نوع العلم وموضوعه لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار، وللإيحاء بأن العلم كله موهبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما

١– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسني الألوسي المتوفى (١٢٧٠هـ)، حـ١٠ ص ١٦٥ بإيجاز، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، جارالله المتوفى (٥٣٨هـ)، حـ٣ ص ٣٥ بتصرف، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.

يرضى الله الذي أنعم به وأعطاه، فلا يكون العلم مبعدًا لصاحبه عن الله، ولا منسيًا له إياه.

وقد أعلن المولى عن العلم الذى أتاه لسليمان ــ عليه السلام ــ فقال: **(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ)**[1] وقبل أن تنتهي الآية صرح سيدنا سليمان بأن ذلك فضلًا من الله فقال: **(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِين)**، وسوف أتناول هذا العلم بشيء من التفصيل في المطالب الآتية.

المطلب الأول: إرث النبوة

كان لداود – عليه السلام – تسعة عشر ولدًا، اصطفى الله – عز وجل – منهم سليمان – عليه السلام –، وأنعم عليه بنعمة النبوة، وهي من أجل نعم الله على سيدنا سليمان، قال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ).

تعددت أقوال المفسرين في إرث سليمان لداود – عليهما السلام – هل كان المال أم الملك والحكم والعلم والنبوة؟ يرى الإمام ابن الجوزي أن سليمان ورث النبوة والعلم ولو كان وراثة مال لكان جميع أولاد داود عليه ــ السلام ــ فيها سواء[1].

ونحا إلى ذلك الإمام ابن عطية حيث قال: "داود – عليه السلام – كان ملكًا، وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة، بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه، فسُمّي ميراثًا تجوزًا، وهذا نحو قولهم: العلماء ورثة الأنبياء.

١- النمل: ١٦.

٢- ينظر: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى (٥٧٩هـ) حـ٣ ص ٣٥٥ بإيجاز، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

وحقيقة الميراث في المال والأنبياء لا تورث أموالهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) [١][٢].

وذكر الإمام السمرقندي قولًا للحسن بن علي[٣]خالف فيه إجماع المفسرين حيث يرى أن المراد بالإرث المال والملك لا النبوة والعلم؛ لأن النبوة والعلم فضل من الله تعالى ولا يكون بالميراث[٤].

ويرى الفخر الرازي أن قول الحسن فيه بُعد لعدة وجوه: الأول: أن المال إذا ورثه الولد فهو أيضًا عطية مبتدأة من الله تعالى؛ ولذلك يرث الولد إذا كان مؤمنًا ولا يرث إذا كان كافرًا أو قاتلًا، لكن الله – تعالى – جعل سبب الإرث في من يرث

١- الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، كتاب: فرْض الخُمُس، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا نورث ما تركنا صدقة)، رقم (٣٠ ٩٣) حـ ٤ ص ٧٩، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ وصحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القيشيري النيسابوري المتوفى (٢٦١هـ)، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا نُورَّثُ ما تركنا فهو صدقة)، رقم (١٧٥٨)حـ٣ ص ١٣٧٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى (٥٤٢هـ)، حـ ٤ ص ٢٥٣، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دارالكتب العلمية – بيروت.

٣- الحسن بن علي: ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، حفيد رسول الله، وابن بنته فاطمة – رضي الله عنها – وابن عمه على ابن أبي طالب، يكني أبا محمد، ولد سنة ثلاثة من الهجرة. ينظر: (الإستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المتوفى (٤٦٣هـ)، حـ ١ ص ٣٨٣، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٤- بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى (٣٧٣هـ)، حـ٢ ص ٥٧٦، بدون طبعة.

على شرائط، وليس كذلك النبوة؛ لأن الموت لا يكون سببًا لنبوة الولد فمن هذا الوجه يفترقان، وذلك لا يمنع من أن يوصف بأنه ورث النبوة لما قام عند موته كما يرث الولد المال إذا قام به عند موته.

الثاني: أن الله تعالى لوفصّل فقال: وورث سليمانُ داودَ ماله لم يكن لقوله **(وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ)** [1]. معنى، وإذا قلنا ورث مقامه من النبوة والملك حسن ذلك؛ لأن تعليم منطق الطير يكون داخلًا في جملة ما ورثه.

الثالث: قول تعالى: **(وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ)** أن وارث الملك يجمع ذلك، ووارث المال لا يجمعه.

الرابع: قوله تعالى: **(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِين)** لا يليق إلا بالملك والنبوة والحكم؛ لأن المال قد يحصل للكامل والناقص.

الخامس: ما ذكره الله من جنود سليمان في قوله (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُون) [2] لا يليق إلا بالحكم والملك والنبوة، فبطل قول من زعم أنه لم يرث إلا المال[3].

ويعضد ذلك ما ذكره الإمام الألوسي حيث قال عند تفسيره للآية الكريمة: "السياق والسباق يأبيان أن يكون المراد وراثة المال كما لا يخفى على منصف. والظاهر أن الرواية عن الحسن غير ثابتة، وكذا الرواية عن أئمة أهل البيت، كما أن وراثة غير المال شائعة في الكتاب الكريم فقد قال تعالى: **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)** [4]،

١- النمل: ١٦.

٢- النمل: ١٧

٣- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، حـ٢٤ ص ٥٤٧ بتصرف يسير. / وينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، حـ٨ ص ٢١٧/ تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٤- فاطر: ٣٢.

وقال (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ) [١][٢].

وبذلك يتبين لنا أن الإرث في الآية الكريمة مستعمل في معناه المجازي، وأن المولى – عز وجل – خص سيدنا سليمان – عليه السلام – بما كان لسيدنا داود– عليه السلام – من الحكم والنبوة.

المطلب الثاني: علم منطق الطير والدواب

أعلن سيدنا سليمان – عليه السلام– هذه النعمة، ودعا الناس إلى التصديق بها فقال: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ) [٣].

النطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردًا كان أو مركبًا، وقد يطلق على كل ما يصوت به على التثبيت أو التبع كقولهم: نطقت الحمامة، ومنه الناطق والصامت للحيوان[٤].

وعبّر عن أصوات الطير بلفظ منطق تشبيهًا له بنطق الإنسان من حيث هو ذو دلالة لسليمان على ما في ضمائر الطير، وحقيقة المنطق هو الصوت المشتمل على حروف تدل على معاني[٥].

قال الإمام أبو حيان: "منطق الطير استعارة لما يسمع منها من الأصوات وهو حقيقة في بني آدم، ولما كان سليمان يفهم منه – أي من الطير – ما يُفهم من

١– الأعراف: ١٦٩

٢– روح المعاني حـ١٠ ص ١٦٧ بإيجاز.

٣– النمل: ١٦

٤– أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى (٦٨٥هـ)، حـ٤ ص ١٥٦، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥– التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى (١٣٩٣هـ)، حـ١٩ ص ٢٣٨، طـ: الدار التونسية للنشر – تونس.

كلام بني آدم، أطلق عليه منطق، وقيل: كانت الطير تكلمه معجزة له كقصة الهدهد"[١].

ويفهم من كلام أبي حيان أن لفظ منطق يجوز أن يستعمل على الحقيقة، ويكون المعنى: أن سليمان – عليه السلام – كان يفهم لغة الطير وكلامهم ويحدثهم ويحدثونه بألفاظ وكلمات، ويجوز أن يستعمل على المجاز، ويكون المعنى: أنه كان يفهم من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها، فلا ألفاظ ثمة ولا كلمات، ولكنه يفهم ما تريد من دلالة الصوت.

ويرى الإمام ابن عطية أن الله ــ عز وجل ــ أفهمه من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها، وهذا نحو ما كان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان يسمع أصوات الحجارة بالسلام[٢].

قال الإمام الألوسي: "عُلِّم – عليه السلام – ما تقصده الطير في أصواتها في سائر أحوالها، فيفهم تسبيحها ووعظها وما تخاطبه به – عليه السلام –، وما يخاطب به بعضها بعضًا. وبالجملة عُلمّ من منطقها ما عُلّم الإنسان من منطق بني صنفه، ولا يستبعد أن يكون للطير نفوس ناطقة ولغات مخصوصة تؤدي بها مقاصدها كما في نوع الإنسان، إلا أن النفوس الإنسانية أقوى وأكمل، ولا يبعد أن تكون متفاوتة تفاوت النفوس الإنسانية"[٣].

وقد استبعد بعض الجهلة نعمة الله على سيدنا سليمان – عليه السلام ــــ، وزعموا أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بنى آدم قبل سليمان بن داود، وهو قول

١– البحر المحيط حـ٨ ص ٢١٧.
٢– ينظر: المحرر الوجيز حـ٤ ص ٢٥٣.
٣– روح المعاني حـ١٠ ص ١٦٨.

بلا علم. ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان – عليه السلام – بذلك فائدة[١].

ويرى الإمام ابن عاشور أن هذا العلم هبة لدنية من الله تعالى لعبده سليمان حيث قال: "علم منطق الطير أوتيه سليمان عن طريق الوحي بأن أطلعه الله – عز وجل – على ما في تقاطيع وتخاليف صفير الطيور أو نعيقها من دلالة على ما في إدراكها وإرادتها"[٢].

وقد توسع بعض المفسرين وذكروا أن سليمان – عليه السلام – أخبر عن كثير من الطير بأنواع من الكلام تقديس لله – تعالى – وعظات وعبرٌ ما الله أعلم بصحته[٣].

ومما ذكروه: أن سليمان – عليه السلام – مرّ على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذَنَبَهُ، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ونبيه أعلم، قال يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء، وصاحت فاخته، فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يُخلقوا، وصاح طاووس، فقال يقول: كما تدين تدان، وصاح هدهد، فقال يقول: استغفروا الله يا مذنبين[٤].

ولا شك أن ذلك من الإسرائيليات؛ لأنه لم يثبت به نقل صحيح ولا نص صريح.

واقتصار المولى– عز وجل – في الآية الكريمة على منطق الطير من باب الإيجاز؛ لأنه إذا علم منطق الطير وهي أبعد الحيوان عن الركون للإنسان وأسرعها

١– تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى (٧٠٧هـ، حـ٦ ص ٢٧٦، تحقيق: محمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢– التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٣٦.

٣– البحر المحيط حـ١٠ ص ٢١٧.

٤– الكشاف حـ٣ ص ٣٥٣.

نفورًا منه، علم أن منطق ما هو أكثر اختلاطًا بالإنسان حاصل له بالأحرى، كما يدل عليه قوله تعالى (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) [١]، فهذه الآية تدل على أنه علم منطق كل صنف من أصناف الحيوان[٢].

ويرى الإمام ابن عطية أن الإقتصار على ذكر الطير سببه أنه كان جندًا من جنود سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس، وفي البعث في الأمور، ولكثرة مداخلته، ولأن أمر سائر الحيوان نادر وغير متردد ترداد الطير[٣].

واستبعد الإمام الألوسي ما ذكره الإمام ابن عطية فقال: "ولا يخفى أن الآية لا تدل على ذلك فيحتاج القول فيه إلى نقل صحيح"[٤].

وأرى – والله أعلم – أنه لا ينبغي التسليم لما قاله الإمام الألوسي، فإن الآية الكريمة وإن كان ظاهرها لا يدل على الحكمة من الإقتصار على ذكر منطق الطير دون سائر الحيوان لكن ما بعدها يشهد لما ذكره ابن عطية، فإن الله قص علينا أن الطير كان جندًا من جند سليمان فقال: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُون) [٥]، وقص علينا خبر الهدهد فقال: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِين) [٦]، ولا شك أنه لا يسأل عنه إلا إذا كان من ذوي المهام، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه من البحث إن شاء الله.

وقد اقتضت حكمة المولى – عز وجل – أن يُعلّم سيدنا سليمان هذا العلم الخارق للعادة ليجعله سبيلاً يهتدي به إلى تعرُّف أحوال يسبق الطير إلى إدراكها بما أُودع فيه من القوى، وانبائه بذلك فيه عون على تدبير ملكه وسياسة أمته.

١- النمل: ١٩

٢- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٣٧.

٣- المحرر الوجيز حـ٤ ص ٢٥٣.

٤- روح المعاني حـ١٠ ص ١٦٨.

٥- النمل: ١٧

٦- النمل: ٢٠.

وقد استطاع سيدنا سليمان عن طريق هذا العلم معرفة أحوال الأمم المجاورة له، ودعوتهم لدين الله.

ومن أعجب نعم الله على سيدنا سليمان نعمة فهمه لغة دواب الأرض، وضرب لنا المولى مثالًا على ذلك بسماعه حديث النملة لقومها، وذلك حين سار موكب سيدنا سليمان من الجن والإنس والطير في ترتيب ونظام، حتى إذا أتوا على وادٍ أضافه التعبير إلى النمل فسمّاه (وادي النمل) قالت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح (يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون) [١] قالت هذه العبارة بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل، وباللغة المتعارفة بينها، خوفًا على قومها من الهلاك.

فهذه النملة أسمعت النمل ونصحته إما بنفسها، ويكون الله قد أعطى النمل أسماعًا خارقة للعادة؛ لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت واحد من أعجب العجائب، وإما أنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع، وأمرتهن بالحذر والطريق في ذلك هو دخول مساكنهم[٢].

وفي تلك الأثناء سمع سيدنا سليمان مقالتها وفهمها (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا)[٣] إعجابًا بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها، وانشرح صدره لإدراك ذلك فقال: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ [٤]، حقًا فهي نعمة تستحق الشكر؛ لأنها تصله بالعوالم المحجوبة

١- النمل: ١٨.

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المتوفى (١٣٧٦هـ) ص ٦٠٢، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣- النمل: ١٩.

٤- النمل: ١٩.

المعزولة عن الناس، لاستغلاق التفاهم وقيام الحواجز بينها. انشرح صدره أيضًا لأن يكون للنمل هذا الإدراك، وأن يفهم النمل عنها ويطيع.

ولثنائها عليه وعلى جنوده في أن نفت عنه تعمد القبيح من الفعل فجعلت الحطم وهم لا يشعرون[١].

قال الإمام ابن عاشور: "وإنما تعجب من أنها عرفت اسمه، وأنها قالت (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون)، فوسمته بالصلاح والرأفة، وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة، وهذا تنويه بعدله الشامل لكل مخلوق، أجراه الله على نملة، ليُعلم شرف العدل، وأن ولي الأمر إذا عدل ظهرت آثار عدله عند ما لا إدراك له. وهذا سر بين سليمان وبين ربه، جعله تنبيهًا له وداعية لشكره؛ ولذلك اتجه سليمان- عليه السلام – إلى الله متوسلًا (أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) [٢].

وفي الآية الكريمة عدة مسائل يحسن المقام بذكرها، المسألة الأولى:

ذكر بعض المفسرين أن وادي النمل بالشام، وقيل بالطائف، وقيل هو وادٍ بأقصى اليمن[٣].

قال الإمام ابن عاشور: "وواد النمل يجوز أن يكون المراد به الجنس؛ لأن للنمل شقوقًا ومسالك هي بالنسبة إليه كالأودية للساكنين من الناس.

ويجوز أن يراد به مكان مشتهر بالنمل غلب عليه هذا المضاف، كما سُمّي وادي السباع موضع معلوم بين البصرة ومكة، وقيل وادي النمل في جهة الطائف، وقيل غير ذلك، وكله غير ظاهر من سياق الآية"[٤].

١- ينظر: الكشاف حـ٣ ص ٣٥٧ / المحرر الوجيز حـ٤ ص ٢٥٣، ٢٥٤ / في ظلال القرآن حـ٥ ص ٢٦٣٦.

٢- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤٣.

٣- ينظر: البحر المحيط حـ٨ ص ٢١٩ / إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى (٩٨٢هـ)، حـ٦ ص ٢٧٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـــــ بيروت.

٤- التحرير والتنوير حـ١١ ص ٢٤٠، ٢٤١.

كما أن تعيين المكان وذكر اسمه لم يرد نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعيينه؛ ولذا ينبغي أن لا يلتفت إلى هذه الأقوال [١]، ولا تؤخذ بعين الاعتبار؛ لأنه لا يترتب على العلم بها فائدة، فضلًا عن كونها من الإسرائليات، أو مما توسع المفسرون في نقله دون استناد إلى دليل.

المسألة الثانية:

ذكر بعض المفسرين أن هذه النملة كانت عرجاء تمشي وهي تتكاوس، وأنها مثل الذئب في العظم، وأن اسمها طاخية، وقيل حرْميا. بل تجاوز الأمر في السؤال: هل كانت ذكرًا أم أنثى[٢]؟

والبحث في مثل هذه الأمور مما يذهب بجمال النص، وانشغال بما لا فائدة فيه عمَّا فيه الفائدة.

وقد أجاد الإمام القرطبي في الرد على ذلك فقال: "ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علَمٌ، والنمل لا يسمّى بعضهم بعضًا، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدة منهم باسم علم؛ لأنه لا يتميز للآدميين بعضهم من بعض، ولا هم أيضًا واقعون تحت ملكة بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها، فإن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب"[٣].

وعلّق الإمام ابن كثير على هذه الأقوال بأنها لا حاصل لها[٤].

١- ينظر: روح المعاني حـ١٠ ص ١٧١.

٢- ينظر: الكشاف حـ٣ ص ٣٥٥/ تفسير القرآن العظيم حـ٤ ص ١٨٣.

٣- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى (٦٧١هـ)، حـ١٣ ص ١٦٩، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

٤- تفسير القرآن العظيم حـ٤ ص ١٨٣.

وقال الإمام أبو حيان: "هذا النوع لا يتميز فيه المذكر من المؤنث، فلحوق التاء فيه لا يدل على التأنيث"[١].

كما أنه لا يتعلق غرض بالتمييز بين أنثى النمل وذكره، بل أن يتعلق به غرض من القرآن؛ لأن المقصود وقوع هذا الحادث وبيان علم سيدنا سليمان، لا فيما دون ذلك من السفاسف[٢].

المسألة الثالثة:

أورد الإمام الماوردي والإمام القرطبي رواية عن الشعبي[٣] أنه قال: "كان للنملة جناحان فصارت من الطير، ولذلك علم منطقها، ولولا ذلك ما علمه"[٤].

ويفهم من كلام الشعبي أن سيدنا سلميان – عليه السلام – فهم كلام النملة لأنها طائر من جنس الطير، وذلك تماشيًا مع سياق قوله تعالى (يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ)، وذيّل كلامه بقوله: "ولذلك علم منطقها"، ومعنى ذلك: أن سيدنا سليمان لم يعلم منطق الدواب، وهذا كلام غير مسلم به لعدة أمور:

١- البحر المحيط حـ٨ ص ٢١٩.

٢- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤١.

٣- الشّعْبي: عامر بن شراحيل بن عبد الله الشَّعْبِيّ، وهو من حمير وعداده في حمدان، يكنىّ أبا عمرو، رأى على بن أبي طالب، وروى عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة. ينظر: (الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري البغدادي، المعروف بابن سعد المتوفى (٢٣٠هـ)، حـ٦ ص ٢٥٩، ٢٦٠ بإيجاز، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤- النكت والعيون، المؤلف أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي المتوفى (٤٥٠هـ)، حـ٤ ص ١٩٩، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان/ وينظر: الجامع لأحكام القرآن حـ١٣ ص ١٦٩.

١- لو أكمل الآية لعلم قوله (وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ) فهذا يدل على عموم علم سيدنا سليمان لما ذُكر وما لم يُذكر.

٢- ثبت علميًا أن النملة حشرة صغيرة، ذات ستة أرجل تسكن في شقوق من الأرض، تحيا في جماعات يتفاوت عدد أفرادها، منها ما يطير، ومنها ما لا يطير، وذلك لأن ملكات النمل وذكوره يكون لها أجنحة تطير بها بعد نضجها مباشرة في أسراب تتم خلالها عملية التزاوج وإخصاب الملكات، وبعد ذلك تموت الذكور مباشرة، وتعود الملكة المخصبة إلى عش النمل لتضع بيضها، وتتقصف أجنحتها حتى لا تتكرر عملية الإخصاب لها[١].

فهذا يدل على أن طيران النمل يكون في مرحلة معينة من حياته فقط، أما بعد ذلك فلا يستطيع الطيران؛ ولذا فلا يصح أن يعد من جنس الطيور.

٣- أن النملة قالت **(لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ)**، والحطم حقيقة في الدهس والرفس، وظاهر الآية أن سليمان وجنوده كانوا مشاة في الأرض، وأن النمل كان في شقوق من الأرض، وبذلك يتحقق حطم النمل، وهذا يدل على أن النملة لم تكن طائر[٢].

٤- ليس في الآية السابقة – قوله (عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) – ولا في الأخبار ما ينفي فهم سيدنا سليمان ما يقصده غير الطير من الحيوانات بدون إطراد[٣].

الدلائل العلمية في الآية الكريمة:

١- أوضحت الآية أن سيدنا سليمان فهم كلام النملة ونصحها وحرصها على قومها، وهذا يدل على أن للنمل وعيًا وإدراكًا وقدرة على التعبير عن الذات والتفاهم

١- تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، تأليف: د/ زغلول راغب محمد النجار، حـ٢ ص ٢٧٠، ٢٧١ بإيجاز، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢- المحرر الوجيز حـ٤ ص ٢٥٢، ٢٥٣.

٣- روح المعاني حـ١٠ ص ١٧١.

والإتصال، وإصدار الأوامر وتلقيها من الغير، قال تعالى (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) [١].

وقد عرف لمجتمع النمل منذ القدم خصائص عدة تشهد بأن له مجتمعًا منظمًا، وأنه على قدرٍ كبير من الذكاء وحب العمل والجهاد الذي لا يعرف الكلل. ومن مظاهر مجتمعها المترابط قيامها بمشروعات جماعية مثل إقامة الطرق والأنفاق، وجمع المواد الغذائية، وحملها وتخزينها، ومن عاداتها أن تقصم الجذور وتفلق الحبوب قبل تخزينها حتى لا تعود إلى الإنبات مرة أخرى.

وأثبتت الآية الكريمة أن النمل يحيا في جماعات منظمة حيث جاء التعبير بقوله **(وَادِي النَّمْلِ)** فضلًا عن اسم السورة التي وردت فيها الآية حيث سميت باسم (النمل) بصيغة الجمع، ولم تسم بصيغة الإفراد التي سميت بها سور قرآنية أخرى كالعنكبوت مثلًا؛ وذلك لأن العنكبوت يحيا حياة فردية، أما النمل فلا يحيا إلا في جماعات منتظمة[٢].

٢ــ أن لأمة النمل لغات خاصة بها:

هذه حقيقة أثبتتها الآية الكريمة بقوله تعالى **(قَالَتْ نَمْلَةٌ)** وقد سمع نبي الله سليمان – عليه السلام – نصيحة النملة لرفاقها وفهم لغتها بنعمة من الله وفضل.

ولغات النمل ظل عدد من علماء الحشرات يحاولون فك رموزها دون جدوى، وقد وظفوا في ذلك كل وسائل المنهج العلمي وتقنياته المتطورة بعد أن أصبحت لغات التخاطب ووسائل الإتصال عند الحيوان علمًا من العلوم المستحدثة تنضوي تحت ما يعرف باسم: "وسائل الاتصال عند الحيوان"، إلا أن هذا المنهج البشري في استقراء لغات الحيوان وفهم سلوكه يبقى منهجًا جزئيًا واستنتاجيًا وتجريبيًا يحتمل الصواب والخطأ، بينما العلم الذي تلقاه نبي الله سليمان عن ربه علم

١– الأنعام: ٣٨.

٢– التفسير الكوني حـ٢ ص ٣٦٩، ٣٧٠ بتصرف.

يقيني وكامل وصحيح، وهو معجزة من المعجزات الحسية التي خصه الله بها وجعلها خارقة من الخوارق التي تخالف مألوف الناس[١].

الدلائل الإيمانية في هذه المعجزة:

١) أن العمل الصالح فضل من الله – تعالى – يوفق إليه من يشكر نعمته، فسليمان – عليه السلام – شكر الله – عز وجل – على ما أولاه به من نعمة العلم بمنطق هذه الدابة الصغيرة، واستعان به كذلك ليوفقه إلى عمل صالح يرضاه.

٢) تنبيه الإنسان وإيقاظ عقله بذكر هذه الحشرة الصغيرة وما أتاها الله من الإيجابية، وحسن النظم والسياسة فهي لم تلوذ بالفرار وحدها عند استشعار الخطر، بل جاء نداءها لمن تحت أمرها، وتدبيرها لأمورها كتدبير الراعي الحريص على رعيته، والقائد الذي يسوس أمر كتيبته.

وفي ذلك إشارة إلى أن الأمة التي لا تصل في تدبيرها لأمورها إلى مثل ما وصل إليه هذا الحيوان الصغير أمة تائهة في الضلال، وأن مصيرها الهلاك؛ لأن أفراد الأمة إذا لم يأخذوا بأيدي الجميع إلى طوق النجاة هلكوا جميعًا[٢].

وهذا ما أرشدنا إليه نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله: " **مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا** "[٣].

١– المرجع السابق نفس الجزء ص ٣٧٠.

٢– تفسير الآيات الكونية حـ٢ ص ٣٧٠.

٣– الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والإستهام فيه، رقم الحديث (٢٤٩٣) حـ٣ ص ١٣٩.

المطلب الثالث: علم القضاء

أنعم المولى – عز وجل – على سيدنا سليمان بالقدرة على الفصل في الخصومات، وفض المنازعات بين الناس، وبالأخص في المشكلات والمعضلات.

وكان ذلك أمرًا دالًا على فقه سيدنا سليمان وعلمه، وقد حكى لنا القرآن الكريم جانبًا من ذلك فقال: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) [1].

وقد ذكر المفسرون في هذه الآية عدة روايات ملخصها: أن غنمًا لقوم وقعت في حرث ليلًا فأفسدته، فاختصموا إلى سيدنا داود – عليه السلام –، فقوَّم داود الحرث والغنم فكانت القيمتان سواء، فدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فخرجوا من عنده، فمروا بسليمان فقال لهم بم قضى نبيكم؟ فأخبروه فقال: نعم ما قضى به، وغير هذا كان أرفق للفريقين جميعًا، فرجع أصحاب الحرث والغنم فأخبروه بما قال سليمان – عليه السلام –، فأرسل داود إلى سليمان فقال: عزمت عليك بحق النبوة وبحق الوالد على ولده، إلا أخبرتني، فقال سليمان: يأخذ أهل الحرث الغنم ينتفعون بألبانها وسمنها وصوفها ونسلها، ويعمل أهل الغنم لأهل الزرع في زرعهم، حتى إذا عاد كما كان ردُّوه، فقال داود: نعم ما قضيت به، وقضى داود بينهم بذلك[2].

وقد اختلف المفسرون في الحرث: فقال بعضهم كان زرعًا أو نبتًا، وقال البعض كان كرْمًا، وعقب ابن جرير على هذه الأقوال: بأن منطوق الآية (إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ)، والحرث: إنما هو حرْث الأرض، وجائز أن يكون ذرعًا، وجائز أن يكون غرسًا، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان[3].

١- الأنبياء: ٧٨، ٧٩.

٢- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى (٣١٠هـ)، حـ١٨ ص ٤٧٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة/ النكت والعيون حـ٣ ص ٤٥٧.

٣- جامع البيان جـ ١٨ ص ٤٧٥.

حيثيات حكم داود وسليمان – عليهما السلام – في هذه القضية:

اختلف حكم داود وسليمان – عليهما السلام – في هذه القضية وكان لكل واحد منهما وجه، أما وجه حكومة داود أن الضرر وقع من الغنم؛ ولذا سلمت بجنايتها إلى المجني عليه.

ووجه حكومة سليمان – عليه السلام –: أنه جعل الإنتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الإنتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان[1].

وقد كان قضاؤهما حقاً؛ وذلك لأن قضاء داود – عليه السلام – استند إلى غُرم الأضرار على المتسببين في إهمال الغنم، أما قضاء سليمان – عليه السلام – فقد استند على إعطاء الحق لذويه مع إرفاق المحققين باستيفاء ما لهم إلى حين، فهو يشبه الصلح[2].

ويبدو من الحكمين أن كلا منهما ــ عليهما السلام ــ راعى العدل، وحرص على تطبيقه لكن حكم سليمان ــ عليه السلام ــ ضم إلى العدل العمل والتعمير، حيث ألزم صاحب الغنم بالعمل في الحقل حتى تؤتى الثمار أكلها، وبذلك يستطيع أن يسترد غنمه.

أقوال المفسرين في حكم داود وسليمان – عليهما السلام – هل كان بوحي أم باجتهاد؟

اختلف المفسرون في حكم داود وسليمان – عليهما السلام – هل كان بوحي أم باجتهاد؟ وذلك للخلاف في جواز الاجتهاد على الأنبياء، فمنعه البعض، وجوّزه الكثير من العلماء.

١– ينظر: الكشاف حـ٣ ص ١٢٨.

٢– التحرير والتنوير حـ١٧ ص ١١٩.

وقد ذهب الزمخشري والإمام الشوكاني إلى أن حكم داود وسليمان – عليهما السلام – كان بوحي، إلا أن حكم داود نُسخ بحكم سليمان – عليهما السلام – واستدل الإمام الشوكاني على ذلك بقوله – تعالى –: (وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) بأن الله أخبرنا أنه أعطى كل واحد منهما هذين الأمرين، وهما وإن كانا خاصين فصدقهما على هذه القضية التى حكاها الله سبحانه عنهما مقدم على صدقهما على غيرها، وإن كانا عامين فهذا الفرد من الحكم والعلم وهو ما وقع من كل واحد منهما في هذه القضية أحق أفراد ذلك العام بدخوله تحته ودلالته عليه. ومما يستفاد من دفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان بالفهم من عدم كون حكم داود شرعيًا، أي: وكل واحد منهما أعطيناه حكمًا وعلمًا كثيرًا لا سليمان وحده[1].

واختار الفخر الرازي، والإمام الألوسي، والإمام ابن عاشور، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي: القول بأن الحكمين كانا عن اجتهاد لا وحي.

واستدل الفخر الرازي على صحة كلامه بما روى في بعض الأخبار أن داود – عليه السلام – لم يكن قد بتّ في الحكم حتى سمع من سليمان ــ عليه السلام ــ أن غير ذلك أولى، وفي بعضها أن داود – عليه السلام – ناشده لكي يورد ما عنده، وكل ذلك لا يليق بالنص؛ لأنه لو كان نصًا لكان يظهره ولا يكتمه[2].

واستشهد الإمام الألوسي بقول سيدنا سليمان في القصة "غير هذا كان أرفق"، وقوله "أرى أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث"، أن ذلك كان كلامًا صريحًا يدل على أن ذلك الحكم كان باجتهاد لا وحي؛ لأنه لو كان بطريق الوحي لبتّ القول بذلك، واستند إلى حداثة سن سيدنا سليمان على أنه لم يوحى إليه وهو فى مثل هذا

١– ينظر: الكشاف حـ٣ ص ١٢٨/ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى (١٢٥٠هـ)، حـ٣ ص ٤٩٤، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢– مفاتيح الغيب حـ٢٢ص ١٦٦.

العمر، وبالتالى يستحيل نقض حكم النص بالاجتهاد، فدل ذلك على أن كلا الحكمين كانا باجتهاد[١].

قال الدكتورسيد طنطاوي: "وفي الآية قرينتان على أن حكمهما كان باجتهاد لا بوحي، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته، وأن داود لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده، ولم يستوجب لومًا ولا ذمًا لعدم إصابته:

القرينة الأولى: دل قوله (إِذْ يَحْكُمَانِ) على أنهما حكما فيها معًا، كل منهما بحكم مخالف للآخر. ولو كان وحيًا لما ساغ الخلاف، ثم قال **(فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)** فدل ذلك على أنه لم يُفهمها داود، ولو كان حكمه فيها بوحي لكان مُفَهًّا إياها، فقوله (إِذْ يَحْكُمَانِ) مع قوله **(فَفَهَّمْنَاهَا)** قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل باجتهاد. وأصاب فيه سليمان دون داود بتفهيم الله إياه ذلك.

القرنية الثانية: أن قوله تعالى **(فَفَهَّمْنَاهَا)** يدل على فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع، لا أنه نزل عليه فيها وحيًا جديدًا ناسخًا"[٢].

وترى الباحثة أن الراجح جواز الإجتهاد في حق الأنبياء لأنه ليس فيه استحالة عقلية، كما أنه من الأدلة المعتبرة شرعا، فما المانع من أن يستدل به الأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ.

وقد استدل العلماء بهذه الواقعة على: جواز الاجتهاد في الأحكام، ووقوعه للأنبياء، وأن المجتهد قد يخطئ، وأنه مأجور مع الخطأ غير آثم؛ لأنه تعالى أخبر إدراك الحق مع سليمان ثم أثنى عليهما.

١- روح المعاني حـ٩ ص ٧١ بتصرف.

٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي حـ٩ ص ٢٣٦ بإيجاز يسير، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى ١٩٩٨.

واستدل بها أيضًا: من قال برجوع الحاكم بعد قضائه عن اجتهاده إلى أرجح منه. وفيها تضمين أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار؛ لأن النفش لا يكون إلا بالليل[1].

كما أن هذه الواقعة تدل دلالة واضحة على ما منّ الله به على سيدنا سليمان ــ عليه السلام ــ من الفهم وسعة الأفق، وقربه من الرعيــة واهتمامــه بمــشاكلهم ومشاغلهم، وكان ذلك داعيًا لحب الناس له والتفافهم حوله، ولا شك أن ذلك يُعد من أهم أسباب النصر وقوة الملك.

١- الإكليل في استنباط التنزيل، لعبد الرحمن بــن أبــي بكــرجلال الــدين الــسيوطي المتــوفى (٩١١هــ)، ص ١٨٠، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر، الناشر: دار الكتب العلمية – بيــروت، ط١٤٠١هــ- ١٩٨١م/ وينظر: التحرير والتنوير حـــ١٧ ص ١١٥.

المبحث الثانى

(الريـــــح)

الريح هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحـــس بحركته[١].

وقد ورد لفظ الريح في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

١- بمعنى القوة والغلبة، قال تعالى: (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) [٢].

٢- بمعنى العذاب والعقوبة، نحو قوله تعالى: (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيم) [٣]، (وَفِـــي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيم) [٤].

٣- بمعنى النسمات والرحمة، نحو قوله (يُرْسِـــلُ الرِّيَـــاحَ بُـــشْرًا بَـــيْنَ يَـــدَيْ رَحْمَتِهِ)[٥].

٤- بمعنى اللاقحات نحو قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) [٦].

٥- بمعنى مسخرات المراكب في البحار لمنافع السفار والتجـــار، نحـــو قولـــه تعالى: (وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) [٧].

٦- بمعنى رياح النصر، نحو قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًـــا وَجُنُـــودًا لَّـــمْ تَرَوْهَا)[٨]

١- معالم التنزيل حـــ٣ ص ٣٠١.
٢- الأنفال: ٤٦
٣- الأحقاف: ٢٤.
٤- الذاريات: ٤١.
٥- الأعراف: ٥٧.
٦- الحجر: ٢٢.
٧- يونس:٢٢
٨- الأحزاب: ٩

٧- بمعنى ريح المضرة والعذاب، نحو قوله تعالى (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) [١][٢].

قال الراغب: "وعامة المواضع التي ذكر فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة"[٣].

وأرى – والله أعلم – أنه لا مانع من استعمال أحدهما في محل الآخر، فلم يرد دليل يدل على ذلك، بل قد وُصف لفظ (الريح) بالإفراد بـ (طيبة) في سورة يونس – عليه السلام –.

كما أن الريح والرياح ليست مقيدة في الاستخدام بخير أو شر إلا بما وصفت به وخصت، وليس في ذكرها مفردة أو مجموعة، ويدل على ذلك ما ورد عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الريح قال: (اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) [٤]. فدل ذلك على أن لفظ الريح أو الرياح إنما يقيد بالوصف بما جاء به من عند الله – عز وجل –.

ويضاف إلى ذلك: أن ريح العذاب والمضرة الوارد ذكرها كما كانت عذاب وإيذاء لقوم، كانت أيضًا نصرًا تأييدًا وفرحًا لمقابلهم.

١- الروم: ٥١

٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى(٨١٧هـ)، باب: الراء، بصيرة فى الروح حـ٣ ص ١٠٨، ١٠٩، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة.

٣- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، كتاب: الراء حـ١ ص ٣٧٠، تحقيق: صفوان عدنان الداودي،الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٤- الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم، رقم الحديث (٨٩٩)، حـ٢ ص ٦١٦.

وقد ورد لفظ الريح في قصة سيدنا سليمان بصيغة الإفراد، قال تعالى: **(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِين)** [١].

وقوله: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) [٢].

وقوله: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَاب) [٣]. وهذه الريح لم تكن للعذاب والمضرة، بل كانت ريح خير وبركة، ونعمة من الله ساعدته- عليه السلام – على نصرة الدين، فكانت تنقله وجنوده إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى الشام.

ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام ابن عطية حيث قال: "إن ريح السقيا والمطر منتشرة لينة، تجئ من هاهنا وتتفرق لتجمع السحاب، فيحسن من حيث هي منفصلة الأجزاء متغايرة المهب أن يقال لها رياحًا، أما ريح الصر والعذاب فهي جسد واحد شديد المر مهلكة بقوتها وبما تحمله أحيانًا من الصر المهلك فيحسن من حيث هي شديدة الاتصال أن تسمى ريحًا مفردة، وكذلك أفردت الريح في قوله (وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ)، من حيث جرى السفن يحتاج لريح متصلة كأنها شيء واحد فأفردت لذلك، ووصفت بالطيب لإزالة الاشتراك بينهما وبين الريح المكروهة، وكذلك ريح سليمان – عليه السلام- كانت تجري بأمره وتعصف في حقوله وهي متصلة"[٤]

وبذلك يتبين لنا أن التعبير بصيغة الجمع لا يقتصر في دلالته على الرحمة فقط، فقد يراد به تعدد المهاب وحصول الفترات في الهبوب، وأن الإفراد قد يراد به أنها مدفوعة دفعة واحدة قوية لا فترة بين هبّاتها[٥].

١- الأنبياء: ٨١.

٢- سبأ: ١٢.

٣- ص: ٣٦.

٤- المحرر الوجيز ١٢ ص ٤١٢ بتصرف يسير.

٥- التحرير والتنوير حـ٨ ص ١٧٩.

وعلى هذا صح التعبير بالإفراد في المواضع الثلاثة السابقة فكانت الريح معجزة من الله وجندًا من جنود سليمان – عليه السلام –، فهي ريح خير ونفع.

وللمفسرين في قصة الريح أقوال متعددة، وروايات لم ترتق إلى درجة الصحة والقبول، معظمها عن مسلمة أهل الكتاب أو ممن اتصف بالكذب والوضع.

وأشهر هذه الروايات: رواية بساط الريح، فعن وهب بن منبه قال: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس إلى سريره، وكان امرءًا غزاءً قلّما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكانوا فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلت الرخاء فمدته شهرًا في روحته وشهرًا في غدوته إلى حيث أراد[1].

وذكر الإمام أبو حيان رواية عن الكلبي[2] أن سيدنا سليمان كان يركب الريح من اصطخر إلى الشام.

ورواية أخرى عن مقاتل[3] قريبة في معناها من رواية وهب السابقة، ثم عقب على هذه الروايات قائلًا: "وقد أكثر الإخباريون في ملك سليمان

١- ينظر: جامع البيان حـ١٨ ص ٤٨١/ معالم التنزيل ٣ ص ٣٠١، ٣٠٢/ تفسير القرآن العظيم حـ٥ ص ٣٥٨.

٢- الكلبي: محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو بن الحارث، يكني أبا النضر، كان عالمًا بالتفسير وانساب العرب وأحاديثهم، وفي روايته ضعف، وأحاديثه موضوعة. ينظر: (الطبقات الكبرى حـ٦ ص ٣٤١، ٣٤٢/ الضعفاء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى (٤٣٠هـ)، حـ١ ص ١٣٨، تحقيق: فاروق حمادة، الناشر: دار الثقافة – دار البيضاء، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م).

٣ – مقاتل: بن سليمان البلخي صاحب التفسير والمناكير، روى عن الضحاك ومجاهد والزهري وابن بريدة، وروى عن وكيع أنه قال: كان مقاتل بن سليمان كذابًا، وقال فيه يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء، وهو متروك الحديث. (ينظر: الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد

ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما قصه الله في كتابه، وفي حديث رسوله صلى الله عليه وسلم[١].

والأولى أن نقف عند حدود النص القرآنى ولا نتعداه إلى غيره، والنص القرآني جاء مقررًا تسخير الريح لسيدنا سليمان بتوجيهها بأمر الله إلى الأرض المباركة في دورة تستغرق شهرًا اطرادًا وعكسًا. وأن هذا الريح وصفت بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى.

قال الإمام الزمخشري: "كانت هذه الريح رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان – عليه السلام –، وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم، آية على آية ومعجزة على معجزة، وقيل: كانت في وقت رخاء، وفي وقت عاصف لهبوبها على حكم إرادته"[٢].

وقيل: العاصفة كانت في القفول على عادة البشر والدّواب في الإسراع إلى الوطن، والرخاء كانت في البداءة[٣].

والأرض المباركة هي أرض الشام، وكانت مسكنه ومقر ملكه، وقيل: أرض فلسطين، وقيل: بيت المقدس.

ويحتمل أن تكون الأرض التي يسير إليها سليمان كانت ما كانت. ووصفت بالبركة لأنه إذا حل أرضًا أصلحها بقتل كفارها وإثبات الإيمان فيها، وبث العدل ولا بركة أعظم من هذا[٤].

=عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم المتوفى (٣٢٧هـ)، حـ٨ ص ٣٥٥، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الهند).

١- البحر المحيط حـ٧ ص ٤٥٨.

٢- الكشاف حـ٣ ص١٣٠.

٣- المحرر الوجيز حـ٤ ص ٩٤.

٤- البحر المحيط حـ٧ ص ٤٥٨.

وقد نأى الإمام ابن عاشور بتفسيره عن ذكر مسألة بساط الريح، ولم يلتفت للروايات الواردة في القصة، بل فسر الريح على أنها كانت معجزة من الله لسليمان، وهي الريح الموسمية التي تساعد السفن على السير في البحار، فقال: "وتسخير الريح لما تصلح له وهو سير المراكب في البحر، وأنها كانت تجري إلى الشام راجعة عن الأقطار التي خرجت إليها لمصالح ملك سليمان من غزو أو تجارة بقرينة أنها مسخرة لسليمان – عليه السلام – فلابد أن تكون سائرة لفائدة الأمة التي هو ملكها. كما كانت هذه السفن تخرج من تلك الأرض حاملة الجنود، أو مصدرة البضائع التي تصدرها مملكة سليمان إلى بلاد الأرض، وتقفل راجعة محملة بالبضائع والميرة، ومواد الصناعة، وأسلحة الجند إلى أرض فلسطين، فجعل المولى الرياح الموسمية في بحار فلسطين مدة ملك سلميان إكرامًا وتأييدًا إذ كان همّه نشر دين الله في الأرض"[1].

وأرى – والله أعلم بالصواب – أن تسخير الريح لسليمان – عليه السلام – كان من جملة جنوده، يستخدمها وفق ما أراد، ونفوض العلم بكفيه ذلك لله – عز وجل – حيث لم يصلنا خبر صحيح بذلك، ولم يُذكر في الآيات ما يدل على أنها كانت الريح الموسمية، كما أن المولى – عز وجل – قال (ولسليمان الريح) فهذا يدل على أنه خُصَ بها، ولو كانت الموسمية لا نتفع بها كل من ركب البحر آنذاك؛ ولذا ينبغي أن نفوض العلم بكيفية التسخير لله ــ عزوجل ــ.

ونؤمن بما صرحت به الآيات، وهو أن الله عز وجل سخر لسليمان – عليه السلام – الريح لمصالح الدين والدولة، وكان ذلك سببًا من أسباب نصره والتمكين لدين الله ــ عزوجل ــ.

١– التحرير والتنوير حـ١٧ ص ١٢٣ بإيجاز.

المبحث الثالث

إذابة عين القطر

دعا سيدنا سليمان – عليه السلام – ربه (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب) [١]، وقد أجاب الله دعاءه، ووهبه ما لم يهب لأحد من قبله ولا بعده من الملك والعز والسلطان، ومنحه من النعم ما كان سببًا لبقاء هذا الملك وتمكينه.

وكان مما وهب الله سيدنا سليمان: إذابة عين القطر، قال تعالى: (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) [٢]، والإسالة الإذابة، وعين القطر: هو النحاس المذاب، والمعنى: وأذبنا له عين النحاس وأجريناها له[٣].

وقيل: القطر هو الفلز كله، النحاس والحديد وما جرى مجراه[٤]. وقد تعددت أقوال المفسرين في كيفية الإسالة، وتعددت الروايات أيضًا في مكانها وزمانها.

أولاً: كيفية الإسالة:

يرى الإمام الزمخشري أن الله أجرى لسيدنا سليمان عينًا نبع منه النحاس كما ينبع الماء من العين، وسمّاه عين القطر باسم ما آل إليه، كما قال (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا)[٥][٦]. وعلى هذا القول فهي عين حقيقية، يسيل منها النحاس منصهرًا، حتى يسهل على سيدنا سليمان استخدامه فيما شاء.

١- ص:٣٥

٢- سبأ: ١٢

٣- جامع البيان حـ٢٠ ص ٣٦٣.

٤- ينظر: المحرر الوجيز حـ٤ ص ٤٠٩، روح المعاني حـ١١ ص ٢٩١.

٥- يوسف:٣٦

٦- الكشاف حـ٣ ص ٥٧٢.

وقيل الإسالة بمعنى الإذابة، أي: أذبنا له النحاس على نحو ما كان الحديد يلين لداود – عليه السلام –، وكانت الأعمال تتأتى منه لسليمان وهو بارد دون نار، و"عيْن" على هذا التأويل بمعنى الذات، ولم يلن النحاس ولا ذاب لأحد قبله وعلى هذا التأويل فالعين ليست على حقيقتها[١].

ويرى الإمام ابن عاشور أن العين ليست حقيقة، وأنها مستعارة لمصب ما يصهر في مصانعه من النحاس، حتى يكون النحاس المذاب سائلًا خارجًا في فساقي ونحوها من الأنابيب، كما يخرج الماء من العين لشدة إصهار النحاس وتوالي إصهاره فلا يزال يسيل ليصنع له آنية وأسلحة ودرقاً، وما ذلك إلا بإذابة وإصهار خارقين للمعتاد بقوة إلاهية. ويجوز أن يكون السيلان مستعارًا لكثرة القطر كثْرةً تشبه كثرة ماء العيون والأنهار[٢].

قال الإمام الألوسي: "والظاهر المؤيد بالآثار أنه تعالى جعله في معدنه عيناً تسيل كعيون الماء"[٣].

وأرى والله أعلم بالصواب أن لفظ الآية الكريمة يسمح ويتسع للتأويلين، حيث لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص صريح يبين كيف كانت الإسالة؟، وهل هي عين حقيقة أم مجاز؟ وما روى في ذلك مأثور عن التابعين مما روى عن أهل الكتاب.

وسياق الآيات يشير أنها كانت معجزة خارقة، منحها الله سليمان دليلًا على نبوته، ونعمة من الله يستعملها فيما ينفع الناس، من صنع ما يحتاجونه من السلاح وغيره من المنافع مما يزيد ملكه قوة وتمكيناً وتفوقًا على الأمم المجاورة له.

١- المحرر الوجيز حـ٤ ص ٤٠٩.

٢- التحرير والتنوير حـ٢٢ ص ١٥٩.

٣ ــ روح المعانى ج ١١ ص ٢٩٢.

فجائز أن يكون فجر الله له عيناً بركانية من النحاس المذاب من الأرض، أو يكون ألهمه إذابة النحاس حتى يسيل ويصبح قابلًا للصب والطرق، ولم يكن معروفا قبل ذلك، وهو فضل من الله ونعمة.

ثانيًا: ذكرت روايات متعددة في مكان "عين القطر" ووقتها: قال قتادة: هي عين بأرض اليمن، وقال السُّدي: سيلت له ثلاثة أيام، وقال: عكرمة: سال له القطر ثلاثة أيام من صنعاء اليمن كما يسيل الماء، وقال الضحاك: هي عين بالشام[١].

ولا أدري لم تطرق المفسرون إلى هذه التأويلات، ولم البحث عن هذه الأمور، وقد سكت عنها اللفظ القرآني، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد أن الصحابة سألوا عن ذلك؟ بل اكتفوا بما دل عليه ظاهر اللفظ ولم يتعدوه.

وما روى في هذا الشأن وغيره من القصص القرآني من مرويات أهل الكتاب التي ينبغي التحرز عنها، وينبغي أن نقف على حدود اللفظ وأخذ العبرة منه، وعدم التطرق إلى الأمور التي لا يترتب على العلم بها فائدة، فما الفائدة من وراء تحديد مكان "عين القطر"؟، وما الدليل على تخصيص الإذابة بأنها كانت ثلاث ليال؟

وقد ذكر الإمام القرطبي نقلًا عن القشيري: "وتخصيص الإسالة بثلاثة أيام لا يُدري ما حدُّه، ولعله وهم من الناقل، إذ في رواية عن مجاهد: أنها سالت من صنعاء ثلاث ليالٍ مما يليها، وهذا يشير إلى بيان الموضع لا إلى بيان المدة، والظاهر: أنه جعله له في معدنه عيناً تسيل كعيون الماء دلالة على نبوته"[٢].

وقد دلت الآيات على أن المولى مدّ سيدنا سليمان بمعجزة ناطقة بنبوته، ووظفها – عليه السلام – من أجل الدعوة إلى الله، فالله عز وجل ينزل المعونة على عباده على قدر هممهم وثباتهم، ويضع التوفيق في مواضعه اللائقة به.

١- النكت والعيون حـ٤ ص ٤٣٧/ وينظر: البحر المحيط حـ٨ ص ٥٢٧.

٢- الجامع لأحكام القرآن حـ١٤ ص ٢٧٠.

الفصل الثاني

جند سليمان ــ عليه السلام ــ

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جند سليمان من الجن.

المبحث الثاني: الإنس.

المبحث الثالث: جند سليمان من الطير.

المبحث الأول

الجـــن

تمهيد:

قال تعالى(وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) [١].

الجُنْد: الأعوان والأنصار والعسكر، وجُنْد مُجَنّد: مجموع[٢].

وغلب إطلاق الجُند على طائفة من الناس يعدها الملك لقتال العدو ولحراسة البلاد[٣].

وقد أخبرنا الولى – تبارك اسمه – بدلائل قدرته، وعظيم منته على سليمان – عليه السلام – بأن جعل عسكره لا يتألف مما هو معهود ومألوف بل كان عسكره يتألف من الجن والإنس والطير، وبدأ بالجن لعسر جمعهم، وللمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه؛ وذلك لأن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير، ثم ثنى بالإنس لشرفهم ومشاركتهم لهم في ذلك من حيث تباعد أغراضهم وتنائي قصودهم، ولما ذكر ما يعقل – وهو الجند من الجن والإنس – أتبعه بذكر ما لا يعقل فقال (والطير)، ولعظمة الجيش وكثرة عدده ولترتب صفوفه كما هو المعتاد في العساكر جعل على كل صنف منهم وزعة، يحبس أوائلهم على أواخرهم ليتلاحقوا، فيكون ذلك أجدر بالهيبة، وأعون على النصرة، وأقرب إلى السلامة[٤].

١– النمل: ١٧

٢– لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري – الرويفعي الأفريقي المتوفى (٧١١هـ)، حـ٣ ص ١٣٢، حرف الجيم، مادة: جُنْد، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٣– التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤٠.

٤– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى (٨٨٥هـ) حـ١٤ ص ١٤١ بتصرف، الناشر: دار الكتاب الإسلامي – القاهرة/ وينظر: إرشاد العقل السليم حـ٦ ص ٢٧.

وقد أطال المفسرون في ذكر مقدار جند سليمان – عليه السلام – وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعدها العقول، ولا تصح من جهة النقل، ولو صحت لكان في القدرة الربانية ما هو أعظم من ذلك وأكثر[١].

قال الإمام الألوسي: "وأكثر الأخبار في هذا الشأن لا يعول عليها؛ ولذا يجب علينا الإيمان بما نطق به القرآن ودلت عليه الأخبار الصحيحة، وأن نغض الطرف عما لا صحة له مما ذكره القصاص والمؤرخون مما فيه مبالغات ومخالفات شنيعة لا يبعد أن تكون أكثرها مما وضعه الزنادقة يريدون بذلك التنفير من الدين"[٢].

والصحيح أن ملك سليمان – عليه السلام – كان عظيمًا، وأن جنده كان حشدًا كبيرًا، وقد دل على ذلك قوله تعالى **(فَهُمْ يُوزَعُونَ)**، ووازع الجيش الذي يكفهم عن التفرق، ويرد من شذّ منهم حتى لا تشيع فيهم الفوضى[٣].

وسوف أتناول في هذا الفصل الحديث عن جند سليمان – عليه السلام – مبينة كل صنف منهم ومهمته في ذلك الجيش المبارك، ومن جند سليمان الجن، والجن مشتق من "الاجتنان" وهو الاستتار، يقال للدرع: جُنَة؛ لأنها سترت، ويقال: أَجَنَهُ الليل، أي: جعله من سواده في جُنّة، وإنّما سُموا جنًّا، لاستتارهم عن أبصار الناس[٤].

والجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الإتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها: أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان، وقد دل على ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ

١- فتح القدير حـ٤ ص ١٥٠.

٢- روح المعاني حـ١٠ ص ١٧٠.

٣- زاد المسير حـ٣ ص ٢٥٦ بتصرف.

٤- غريب القرآن، المؤلف: أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (٢٧٦هـ)، ص ٢١، تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

حَمَإٍ مَّسْنُون * وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم) [١]، وقوله (خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّار * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار) [٢].

وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) [٣][٤].

واختلف العلماء في الجن، فقال بعضهم: إنهم جنس غير الشياطين.

والأصح أن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان مؤمنًا فإنه لا يسمى بالشيطان، وكل من كان كافرًا يسمى بهذا الاسم[٥]. واختلفوا أيضًا في أجسام الجن، فقيل: هي أجسام كثيفة، وقيل: بل هي أجسام رقيقة ولرقتهم لا نراهم، قال القاضي عبد الجبار[٦]: "اعلم أن الذي يدل على رقة أجسامهم قوله تعالى (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ)" [٧]، ولا يمكن معرفة أجسام الجن أنها رقيقة أو كثيفة إلا بالمشاهدة أو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلا الأمرين مفقود[٨].

١- الحجر: ٢٦، ٢٧

٢- الرحمن: ١٤، ١٥.

٣- الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، باب: في أحاديث متفرقة، رقم الحديث (٢٩٩٦)، حـ٤ ص ٢٢٩٤.

٤- عالم الجن والشياطين: المؤلف عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ص ١١، ١٢ بإيجاز، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الرابعة ـ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٥- مفاتيح الغيب حـ١٩ ص ١٣٨.

٦- القاضي عبد الجبار: ابن أحمد بن عبدالجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمداني، صاحب التصانيف، عن كبار فقهاء الشافعية، وُليّ قاضي القضاة بالرّي، مات في ذي القعدة سنة أربع وأربع عشر وأربع مائة، من أبناء التسعين. ينظر: (الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي المتوفى (٧٦٤هـ)، حـ١٨ ص ٢١، تحقيق: أحمد الأرنؤوط – تركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م).

٧- سورة الأعراف: ٢٧.

٨- آكام المرجان في أحكام الجان، المؤلف: محمد بن عبدالله الشبلي، الدمشقي الحنفي، أبو عبدالله

ولذا علينا أن نقف على ما ورد في القرآن، وهو أنهم خُلقوا من مارج من نار، وأنهم يرون البشر ولا يرونهم، وأنهم قادرون على الوسوسة في صدور الناس بالشر عادة، وأنهم قادرون على التشكل بأشكال مختلفة، وفعل أمور خارقة.

وأن الله سخر طائفة منهم لسليمان – عليه السلام – وليس كل الجن كان مسخرًا له؛ لأن إبليس وذريته من الجن كانوا يزاولون الإغواء بالشر والوسوسة للبشر في عهد سليمان، وما كانوا ليزاولوا هذا وهم مسخرون له مقيدون بأمره، وهو نبي يدعوا إلى الهدى، فالمفهوم إذن أن طائفة من الجن هي التي كانت مسخرة له – عليه السلام–.

وكان للجان مهام عديدة في مملكة سليمان – عليه السلام –، ومن هذه المهام:

١) **المهمة الأولى:** الاستعانة بهم في الأعمال الشاقة، كبناء المدائن والقصور، وصنع التماثيل، والجفان، والقدور، قال تعالى: (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ) [١]، وقال (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاص) [٢].

دلت الآيات أن الله سخر طائفة من الجن لسليمان – عليه السلام – وأمرهم بطاعته، وتوعد من يعدل عن الانقياد له بعذاب شديد، واختلف المفسرون في هذا العذاب: هل في الدنيا أم في الآخرة؟

قولان: أحدهما: أنه في الآخرة.

=بدر الدين بن تقي الدين المتوفى (٧٦٩)هـ، ص ٣٤، ٣٥ بتصرف، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، الناشر: مكتبة القرآن – مصر – القاهرة.

١- سبأ: ١٢، ١٣.

٢- ص: ٣٧.

الثاني: في الدنيا، وقيل: إنه كان مع سليمان ملك بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم ضربه الملك بذلك السوط[١].

ثم شرعت الآيات في بيان ما كان يعمله الجن، فذكر المولى أنهم كانوا يبنون محاريب، والمحراب: كل موضع مرتفع من الأرض، وهي الأبنية الرفيعة والقصور العظيمة، ومنه قيل: للذي يُصلّي فيه محراب لأنه يرفع ويعظم.

وقال الضحاك[٢] المراد بالمحاريب هنا: المساجد.

وكانوا أيضا ينحتون التماثيل، جمع تمثال: وهو كل شيء مثلته بشيء، أي: صورته بصورته من نُحاس، أو زجاج، أو رخام، أو غير ذلك.

واختلف المفسرون في هذه التماثيل، فقيل: كانت صور الأنبياء، والملائكة، والعلماء، والصلحاء، وكانوا يصورونها في المساجد ليراها الناس، فيزدادوا عبادة واجتهادًا. وقيل: هي تماثيل أشياء ليست من الحيوان كصور الأشجار ونحوها[٣].

واستجاز سليمان – عليه السلام – عمل هذه التصاوير؛ لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب، وقد استدل بهذا على أن التصوير كان مباحًا في شرع سليمان – عليه السلام–، وأن هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع، قال صلى

١– زاد المسير حـ٣ ص ٤٩٢ بتصرف.

٢– الضّحاك: بن مزاحم الهِلالِيْ: يكني أبا القاسم، أخبر أنه وُلِد لسنتين وقد ثَغُر، وقال: تلد المرأة لسنتين، ولم يسمع من ابن عباس، ثقة، مات سنة خمسين ومائة. (ينظر: الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الرازي: بن أبي حاتم المتوفى (٣٢٧)هـ، حـ٤ ص ٤٥٨، ٤٥٩، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية– حيدر آياد الدكن – الهند ودار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى ١٢٧١هـ – ١٩٥٢م).

٣– فتح القدير حـ٤ ص ٣٦٤ بإيجاز.

الله عليه وسلم: (إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور) [١]، ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة[٢].

وقد حرّم الإسلام التماثيل؛ لأن الإسلام أمعن في قطع دابر الإشراك لشدة تمكن الإشراك في نفوس العرب وغيرهم، وكان معظم الأصنام تماثيل فحرم الإسلام اتخاذها لذلك، ولم يكن تحريمها لأجل اشتمالها على مفسدة في ذاتها، ولكن لكونها كانت ذريعة للإشراك[٣].

وبعد أن ذكر المولى – عز وجل – البناء الذي هوالمسكن بيّن ما يكون في المسكن من ماعون الأكل، فذكر الجفان، وهي جمع جفنة، والجفنة: القصعة الكبيرة، وشبهت بالجواب لكبر حجمها، والجواب: هي الحوض الكبير الذي يجبي الماء ويجمعه، وقيل: كان يجتمع على الجفنة الواحدة ألف نفس يأكلون منها.

ويعملون له أيضًا: قدور راسيات: ثابتة لا تنقل لكبرها، وإنما يغرف منها في تلك الجفان.

وقدّم المولى – عز وجل – المحاريب على التماثيل لأن النقوش تكون في الأبنية، وقدم الجفان في الذكر على القدور مع أن القدور آلة الطبخ والجفان آلة الأكل والطبخ قبل الأكل؛ وذلك لأنه لمّا بيّن الأبنية الملكية أراد أن يبين عظمة السّماط الذي يُمدُّ في تلك الدور، وأشار إلى الجفان لأنها تكون فيه، وأما القدور لا تكون فيه، ولا تحضر هناك؛ ولهذا قال: راسيات، أي: غير منقولات.

١– الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: (هل تنبش قبور مُشركي الجاهلية ويُتَخذ مكانها مساجد)، رقم الحديث (٤٢٧)، حـ١ ص ٩٣.

٢– ينظر: الجامع لأحكام القرآن حـ١٤ ص ٢٧٢/ فتح القدير حـ٤ ص ٣٦٤.

٣– التفسير الوسيط حـ١١ ص ١٦٢.

وقيل: لما بيّن حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس أن الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ؟ فأشار إلى القدور المناسبة للجفان[١].

وهذه كلها نماذج مما سخر الله الجن لسليمان لتقوم له به حيث شاء بإذن الله، كما أنها مشهد دال على سعة الملك وفخامته.

وكلها أمور خارقة لا سبيل إلى تصورها أو تعليلها إلا بأنها معجزة من صنع الله ــ عزوجل ــ ناطقة بنبوة سليمان ــ عليه السلام ــ.

قال الإمام الشوكاني: "وإنا لنوقن بصدق ما جاء به القرآن من استخدام سليمان ــ عليه السلام ــ للجن، ولا نعلم كيف كان يستخدمهم في أعماله"[٢].

وقد استخدمهم – عليه السلام – كما نطق الله في القرآن فيما فيه خير ونفع للناس، ولم يستخدمهم في الشر، وكان ذلك سببًا في تمكين ملكه.

المهمة الثانية: الغوص في أعماق البحر:

قال تعالى: (وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ [٣])، وقال (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاص) [٤].

أخبرنا تعالى أنه سخر طائفة من الجن لسيدنا سليمان يغوصون في الماء يستخرجون اللآلئ.

قال الإمام ابن عطية: "الغوص: الدخول في الماء، والعمل دون ذلك هو البنيان وغيره من الصنائع والخدمة، وقد حفظهم الله من إفساد ما صنعوا، فإنهم كان لهم حرص على ذلك، لولا ما حال الله ــ تعالى ــ بينهم وبين ذلك"[٥].

١– مفاتيح الغيب حـ٢٥ ص ١٩٨/ وينظر: البحر المحيط حـ٨ ص ٥٢٦، ٥٢٩.
٢– فتح القدير حـ٤ ص ٣٦٤.
٣– الأنبياء: ٨٢.
٤– ص: ٣٧.
٥– المحرر الوجيز حـ٤ ص ٩٤.

قال الإمام الألوسي: "ولما كان الغائص قد يغوص لنفسه ولغيره قيل له للإيذان بأن الغوص ليس لأنفسهم بل لأجله – عليه السلام ــ "[١].

وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره أن الله حرس سيدنا سليمان أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل الكل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه، بل هو محكمّ فيهم إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء؛ ولهذا قال تعالى (وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ) [٢][٣]. وقيل: إن المولى – عز وجل – سخّر كفار الجن لسليمان – عليه السلام – دون المؤمنين، وهو الأقرب من وجهين:

أحدهما: إطلاق لفظ الشياطين.

الثاني: قوله (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) فإن المؤمن إذا سُخر في أمر لا يجب أن يُحفظ لئلا يفسد، وإنما يجب ذلك في الكافر.

وفي قوله (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) وجوه:

الأول: أنه تعالى كان يحفظهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوه.

الثاني: كان يحفظهم من أن يهيجوا أحدًا في زمانه.

الثالث: كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا[٤].

وفى ذلك بيان لتمام نعمة الله على سيدنا سليمان بأن مكنَه من السيطرة التامة على أعتى المخلوقات وأعجبها وأكثرها قدرة، فكانوا عونا له على الإعمار والبناء واستخراج خيرات الأرض، فازداد بهم قوة، وفى ذلك دليل على أن التقدم الحضارى والاقتصادي من أهم أسباب بقاء الأمم ونصرها.

١– روح المعاني حـ٩ ص ٧٥.

٢– ص: ٣٨

٣– تفسير القرآن العظيم حـ٥ ص ٣٥٩/ وينظر: فتح القدير حـ٣ ص ٤٩٥.

٤– مفاتيح الغيب حـ٢٢ ص ١٧٠.

المهمة الثالثة: الاستعانة بهم في مهام سياسية تخص الدولة:

لم تقف مهام الجن عند حد التسخير في البناء والتشييد والغوص تحت الماء، بل امتد إلى ما هو أهم من ذلك، وهو أنهم كانوا يحضرون مجلسه الاستشاري ويستعين بهم في مهام تخص الدولة والدعوة أيضًا، وبرز ذلك جليًا حين جمع سيدنا سليمان جنده من الجن والإنس عندما علم بمقدم ملكة سبأ(*) إليه فقال: (قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِين * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِين) [1]. وبعد أن عقد سيدنا سليمان مجلسه وأحضر جنده من الجن والإنس طلب منهم الإتيان بعرش هذه الملكة، وفي ذلك الحين ندب عفريت من الجن نفسه مستعرضًا قوته وقال: أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك، أي: مجلس قضائك. وكان سليمان – عليه السلام – يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: إلى نصف النهار.

والعفريت هو: الفائق المبالغ الرئيس، وقيل النافذ في الأمر، ولذلك قال (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِين) أي: على ما فيه من الجوهر والدرُّ وغير ذلك، وقيل: لا أتيك بغيره بدلًا منه.

وقد رُوِىَ أن هذا العفريت كان اسمه كوْذن، وقيل: ذَكْوان، وقيل: صَخْر. وهذا كله من مرويات أهل الكتاب ولا دليل عليه[2].

---

* سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن جند سليمان من الطير، وسبأ: مدينة بأرض اليمن، وهي مدينة بلقيس وبها كان عرشها، ومجمع الماء الذي بأرض اليمن في ديار سبأ، ولذلك بنو في وجهه سد مأرب، وكانوا يستعملوها في القرى والمزارع. ينظر: (المسالك والممالك، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخى المتوفى (٣٤٦)هـ ص٢١، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة.

١- النحل: ٣٨، ٣٩.

٢- ينظر: تفسير القرآن العظيم حـ٦ ص ١٧٣/ إرشاد العقل السليم حـ٦ ص ٢٨٦.

اختلف المفسرون في الوقت الذي طلب فيه سيدنا سليمان هذا الطلب، فذهب الجمهور إلى أنه قال ذلك حين علم بمقدم ملكة سبأ إليه، بعد أن أرسل إليها الكتاب وردّ هديتها[1].

وقيل: إنه قال ذلك حين أراد أن يختبر صدق الهدهد من كذبه حين قال له **(جِئْتُكَ من سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين)** [2]، فكان رد سليمان – عليه السلام – (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين) ثم كان اختباره لهؤلاء بأن قال لهم: أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين.

وأن سليمان – عليه السلام – كتب الكتاب وأرسل الهدهد إلى المرأة بعد ما صح عنده صدق الهدهد بمجئ العلم بعرشها إليه.

واستدل أصحاب هذا القول على صحة كلامهم بما يأتي:

١- ان سليمان – عليه السلام – استوثق من كلام الهدهد عندما جاءه عرشها، وبعد ذلك أرسل إليها؛ لاستحالة أن يكتب كتابًا إلى من لا يدري هل هو من الدنيا أم لا؟

٢- لو كان كتب مع الهدهد كتابًا إلى المرأة قبل مجئ عرشها إليه، وقد علم صدق الهدهد بذلك، لم يكن لقوله (سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين) معنى، ويستحيل أن يقول نبي الله قولًا لا معنى له. فعلم بذلك أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة إليه، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها[3].

١- المحرر الوجيز حـ٣ ص ٣٦٠.

٢- النمل: ٢٢.

٣- جامع البيان حـ١٩ ص ٤٦٠ بتصرف.

والقول الأول أصح؛ لأنه يلزم من هذا القول تقديم وتأخير في ترتيب القصة على غير ما ورد في ترتيب النص القرآني[1].

وأرى أن ما ذكره أصحاب القول الثاني من أدلة لا تشهد لما قالوا، فالإتيان بالعرش لا يعتبر دليلًا على صدق الهدهد من كذبه، ومن الممكن أن يستدل سيدنا سليمان على صدق الهدد أو كذبه بأمور أخرى غير ذلك.

كما أن المراسلة التي جرت بين سيدنا سليمان والملكة وما ترتب عليها من إرسالها الهدايا ورد سليمان – عليه السلام – الهدايا، وقرار الملكة بالإتيان إلى سيدنا سليمان، كل ذلك أحداث وتداعيات أدت إلى طلب سيدنا سليمان الإتيان بعرش الملكة. ولو كان الطلب قبل ذلك فما الفائدة من الاتيان بالعرش إذ لم تأت الملكة؟

وقد ذكر المفسرون أسبابًا أخرى لطلب سليمان – عليه السلام – استدعاء عرش هذه الملكة منها:

١- أنه أراد أن يكون ذلك دلالة لبلقيس على قدرة الله تعالى، وعلى نبوة سليمان – عليه السلام-.

٢- أراد أن يؤتى بذلك العرش فيُغير ويُنَكّر ثم يعرض عليها ليختبر عقلها.

٣- أراد أن يأخذه قبل إسلامها، لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها[2].

وكان سليمان عليه السلام مثلًا للعبد الصالح المستعين بنعم الله في نشر التوحيد والدعوة إلى الله، وذلك من أفضل صور شكر المنعم – عز وجل-.

١- المحرر الوجيز حـ٣ ص ٣٦٠/ وينظر: البحر المحيط حـ٨ ص ٢٣٩.

٢- ينظر: جامع البيان حـ١٩ ص ٤٦٥/ مفاتيح الغيب حـ١٩ ص ٤٦٥/ زاد المسير حـ٣ ص ٣٦٣.

المبحث الثاني

جند سليمان من الإنس

جرت عادة الملوك والأمراء والقواد أن يتخذوا جندًا وأعوانًا يستعينوا بهم في حراسة البلاد، ومحاربة الأعداء، وتنفيذ الأوامر، وكذلك كان سليمان – عليه السلام – له أعوان ونصراء، ولكن تجلت قدرة الله وعنايته به إذ أيده بجند تميزوا بقدرات وكرامات كانت سببًا في تمكين ملكه، ونصره على أعدائه، وإعلاء دين الله – عز وجل–.

وظهر ذلك جليًا حين طلب من جنده الإتيان بعرش الملكة بلقيس حين علم بمقدمها إليه فقال: (يَاأَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِين) [1] هنالك ندب جندي من جنوده نفسه للقيام بتلك المهمة، فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، فكأن سليمان استبطأه وقال: أريد أعجل من ذلك، فقال جندي آخر من جنوده من الإنس: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

وهذه القصة يتعلق بها عدة أمور، أولها: مَنْ ذلك الشخص الذي قال لسليمان (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) [2]؟

ذكر المفسرون في ذلك قولان:

الأول: قيل كان ملك من الملائكة أيد الله به سليمان، وقيل هو جبريل– عليه السلام.

القول الثاني: أنه رجل من الإنس، وأكثر المفسرين أنه: كان وزير سليمان – عليه السلام – آصف بن برخيا، وكان صدّيقًا يعلم اسم الله الأعظم.

وقيل: إنه الخضر عليه السلام – وهو قول بعيد، وقيل هو عابد خرج يومئذ من جزيرة في البحر، فوجد سليمان فدعا فأتى بالعرش.

١– النمل: ٣٨

٢– النمل: ٤٠.

وقيل: هو سليمان – عليه السلام – نفسه، كأنه استبطأ العفريت، فقال له: أنا أريك ما هو أسرع مما تقول[1].

وعلى ذلك فالمخاطب هو العفريت، وأراد سليمان – عليه السلام – إظهار معجزة فتحداهم أولًا، ثم بيّن للعفريت أنه يتأتى له من سُرعة الإتيان بالعرش مالا يتهيأ للعفريت.

واختار الفخر الرازي هذا القول لوجوه:

أحدها: أن لفظة (الذي) موضوعة في اللغة للإشارة إلى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة، والشخص المعروف بأنه عنده علم الكتاب هو سليمان – عليه السلام –، فوجب انصرافه إليه، أقصى ما في الباب أن يقال: كان آصف كذلك أيضًا، لكنا نقول: إن سليمان – عليه السلام – كان أعرف بالكتاب منه لأنه هو النبي، فكان صرف هذا اللفظ إلى سليمان – عليه السلام – أولى.

الثاني: أن إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية، فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل آصف على سليمان – عليه السلام – وإنه غير جائز.

الثالث: أن سليمان – عليه السلام – لو افتقر في ذلك إلى آصف لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق.

الرابع: أن سليمان قال (هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) [2] وظاهره يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء سليمان – عليه السلام[3].

١– زاد المسير حـ٣ ص ٣٦٣/ وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المتوفى (٥١٠هـ)/حـ٣ ص ٥٠٥، ٥٠٦، تحقيق: عبد الرزاق المهدي: الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأول ١٤٢٠هـ.

٢– النمل: ٤٠.

٣– مفاتيح الغيب حـ٢٤ ص ٥٥٧.

ويرى الإمام القرطبي أن هذا التأويل لا يصح في سياق الكلام[١]. واستبعده أيضًا الإمام أبو حيان حيث قال معقبًا عليه: "وهذه أقوال مضطربة، وقد أبهم الله اسمه، فكان ينبغي أن لا يذكر اسمه حتى يُخْبر به نبي، ومن أغرب الأقوال أنه سليمان – عليه السلام –، كأنه يقول لنفسه: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، أو يكون خاطب بذلك العفريت"[٢].

والذي عليه أكثر المفسرين أن الذي عنده علم من الكتاب هو أحد أعوان سيدنا سليمان.

قال الإمام الألوسي: "ولعل الأظهر أن القائل أحد أتباعه، ولا يلزم من ذلك أنه – عليه السلام – لم يكن قادرًا على الإتيان به، فإن عادة الملوك تكليف أتباعهم بمصالح لهم لا يعجزهم فعلها بأنفسهم، فليكن ما نحن فيه جاريًا على هذه العادة"[٣].

الأمر الثاني: تعددت أقوال المفسرين في الكتاب والعلم، فقيل:

١) الكتاب هو الكتاب المنزل وهو التوراة، وقيل: اللوح المحفوظ[٤]. والعلم الذي أوتيه: هو اسم الله الأعظم، وهو (يا حيّ يا قيوم)، وقيل: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: الله الرحمن.

٢) أنه علم كتاب سليمان إلى بلقيس.

٣) عِلْم ما كتب الله لبني آدم، وهذا على التفسير القائل بأن الذي عنده علم من الكتاب هو ملك من الملائكة، أو جبريل – عليه السلام–[٥].

١– الجامع لأحكام القرآن حـ١٣ ص٢٠٦

٢– البحر المحيط حـ٨ ص٢٤٠

٣– روح المعاني حـ١٠ ص١٩٨.

٤– ينظر: جامع البيان حـ١٩ ص ٢٧٢/ الكشاف حـ٣ ص ٣٦٧، ٣٦٨.

٥– زاد المسير حـ٣ ص ٣٦٣.

والراجح أن المراد (بعلم الكتاب) علم الكتاب المنزل وهو التوراة أو الزبور؛ وذلك لأن قوله (**الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ**) جاء في معرض المدح لإظهار فضل العلم، وللترغيب في التمسك بما أنزل الله، ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام البقاعي حيث قال: "ولما كان لكتب الله من العظمة مالايحيطه إلا الله، أشار إلى ذلك بتنكير ما لهذا الذي يفعله الخارق العظيم ليفيد ذلك تعظيم العلم والحث على تعلمه، وبيّن أن هذا الفضل إنما هو للعلم الشرعي فقال (من الكتاب)، وكأنه الذي كان شهيرًا في ذلك الزمان، ولعله التوراة أو الزبور، وفي ذلك إشارة إلى أن من خدم كتابًا حق الخدمة كان الله سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، أي إنه يفعل له ما يشاء"[١].

وقد ظهرت ثمرة ذلك العلم حيث استطاع ذلك الجندي من الإنس أن يفعل ما لا يستطيع الجنّي أن يفعله بما تميز به من قوة وقدرة على فعل الخوارق والأعاجيب. وحيث مكنه الله – عز وجل – من الإتيان بعرش ملكة سبأ في فترة زمنية قصيرة حددها ذلك الجندي بقوله (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ). أي بمجرد تحريك الأجفان عند النظر، وقيل: قبل ارتداد الطرف: أن ينتهي طرفك إذا مددته إلى مداه، أو ارتداده حسيرًا إذا أدمت النظر، وقيل: قبل أن يأتيك أقصى ما تنظر إليه، هذا تأويله إذا أجرينا اللفظ على ظاهره.

ويجوز أن يكون المراد من باب التمثيل لاستقصار المدة للمبالغة في السرعة[٢].

كما أن المناظرة التي حصلت بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة، وأن الحكمة مكتسبة لقوله (عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ)، وأن قوة العناصر طبيعية فيها، وأن الاكتساب بالعلم طريق

١- نظم الدر حـ١٤ص ١٦٥ بإيجاز.

٢- ينظر: زاد المسير حـ٣ ص ٣٦٣/ مفاتيح الغيب حـ٤ ص ٥٥٧.

لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضًا، وفي ذلك دلالة على تغلب العلم على القوة[1].

وقد استطاع ذلك الجندي الإتيان بعرش ملكة سبأ بما أتاه الله من العلم، واستخدم قائده الخارقة لإظهار قوته على أعدائه وكان ذلك من أسباب إذعان الملكة واقتناعها بأنه نبي يوحى إليه.

١- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٧٢.

المبحث الثالث

جند سليمان – عليه السلام – من الطير

من عجائب قدرة الله – تعالى – أن جعل الطير جندًا من جند سليمان – عليه السلام –، يستعين به في جيشه، وفي نصرة دين الله – عز وجل ــ.

وقد هدى الله البشر إلى اتخاذ كثير من الطير جندًا، والاستعانة بهم فيما يخص الدولة من أمور؛ وذلك لأن الكثير من الطير صالح للانتفاع به في أمور الجند، فمنه الحمام الزاجل، ومنه الهدهد لمعرفة الماء، ومنه البزاة والصقور للصَيْد للملك والجند، ولجلب الطعام للجند من الصيد إذا حل الجند في القفار أو نفد الزاد[1].

ولكن جند سليمان من الطير كان ذو شأن خاص إنه طائر الهدهد. وسأتحدث في عجالة عن طائر الهدهد وأهم صفاته، ثم أتبع ذلك بالحديث عن الهدهد الجندي في جيش سليمان – عليه السلام –.

أولًا: الحديث عن طائر الهدهد وأهم صفاته:

الهدهد طائر صغير يبلغ طوله حوالي ٣٠ سنتيمترًا، يتميز بأرجله القصيرة، وأقدامه العريضة، وريشة المزخرف، ومنقاره الطويل[2].

والهدهد طائر منتن الريح والبدن، من جوهره وذاته، فرُبّ شيء يكون منتنًا من نفسه من غير عرض يعرض له، كالتيوس والحيّات وغير ذلك من أجناس الحيوان، فأمّا العرب فيجعلون ذلك النتن شيئًا خامره بسبب تلك الجيفة التي كانت مدفونة في رأسه.

١– التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤٥.

٢– تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم حـ٢ ص ٣٨٠.

وللهدهد قنزعة[١] على رأسه، والعرب يزعمون أنها ثواب من الله على ما كان من بره لأمه؛ لأن أمه لما ماتت جعل قبرها على رأسه[٢].

والهدهد يقرقر، أسود البراثن[٣]، أصفر الأجفان، يقتات الحبوب والدود، يرى الماء من بُعد ويحس به في باطن الأرض، فإذا رفرف على موضع عُلم أن به ماء، وهذا سبب من أسباب اتخاذه في جند سليمان – عليه السلام[٤].

ثانياً: الهدهد الجندي في جيش سليمان – عليه السلام-:

أخبرنا تعالى أن سليمان اتخذ من الطير جندًا، قال تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُون) [٥]، وجند سليمان من الطير طائر الهدهد، ورد ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة في قصة طويلة بينت عظم دوره في جيش سلميان – عليه السلام –، وكيف اعتمد عليه في الكثير من المهام، قال تعالى: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِين * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا* فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين *إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا

١- قنزعة: قَنْزَعَ، القَنْزعةُ والقُنْزُعة، واحدةُ القنازيع، وهي الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي، وهي كالذوائب في نواحي الرأس. ينظر: لسان العرب، فصل القاف، حـ٨ ص ٣٠٣.

٢- كتاب الحيوان لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ المتوفى (٢٥٥)هـ، حـ٣ ص ٢٤٩، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: ١٤٢٤هـ الثانية.

٣- البراثن: البَراثِنُ من السباع والطير، هي بمنزلة الأصابع من الإنسان – ينظر: (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى (٣٩٣هـ)، فصل الباء، حـ٥ ص ٢٠٧٨، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

٤- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤٥.

٥- النمل: ١٧

يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُون * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُون * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم* قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُون)[1].

أظهرت الآيات بوضوح تام المهام المنوطة بطائر الهدهد كجندي من جند سليمان – عليه السلام –، وفي تفقده – عليه السلام – للهدهد من بين سائر الطيور دلالة واضحة على عظم دوره، وللمفسرين أقوال متعددة في سبب سؤال سيدنا سليمان عن الهدهد وطلب حضوره، ظهر من خلالها بعض مهام ذلك الجندي، وقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري في ذلك قولان: الأول: عن عبد الله بن سلام[2]– رضي الله عنه – أن سليمان نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بُعد الماء، فقال من يعلم بُعد الماء؟ قالوا الهدهد، فذلك حين تفقده.

الثاني: عن وهب بن منبه[3] قال: كان سليمان ابن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره، حتى إذا كان

١– النمل: من الآية ٢٠ إلى آية ٢٨.

٢– عبد الله بن سلام: بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، كان حليفًا للأنصار من بني قينقاع، وهو من ولد يوسف بن يعقوب – عليهما السلام –، كان اسمه في الجاهلية الحصين، وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، كان إسلامه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرًا، توفى سنة ثلاث وأربعين. ينظر: (أسد الغاية في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن على بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفى (٦٣٠)هـ حـ٣ ص ٢٦٥، تحقيق: علي محمد عوض – عادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م).

٣– وهب بن مُنَبِه: بن كامل بن سيح الصنعاني، ويقال الذماري، تابعي ثقة، وكان على قضاة صنعاء، والذمار قرية من قرى صنعاء على مرحلتين منها، كنيته أبو عبد الله، وكان عابدًا فاضلاً قرأ الكتب، مات سنة ثلاث وأربع عشر ومائة، وهو ابن ثمانين سنة. ينظر: (رجال

ذات غداة غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه، فتفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوبًا من كل صنف من الطير طائر، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد، فقال: مالي لا أرى الهدهد[١].

مما سبق يبدو لنا روايتين مختلفتين في سبب تفقد سيدنا سليمان للهدهد، وأن سبب ذلك إما للاستخبار عن بُعد الماء، أو الإخلال بالنبوة التي كانت عليه، وعقب الإمام ابن جرير على الروايتين قائلاً: "والله أعلم بأي ذلك كان، إذ لم يأتنا تنزيل بأي ذلك كان، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير، إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليه عن بُعد الماء"[٢].

وذكر الإمام ابن عطية والفخر الرازي أن الهدهد كان يظل سليمان – عليه السلام – من الشمس، وأن الشمس دخلت من موضع الهدهد حين غاب، فكان ذلك سبب تفقد الطير، ليبين من أين دخلت الشمس[٣].

وبناء على أقوال المفسرين يتبين لنا بعض مهام الهدهد في جيش سليمان ــ عليه السلام ــ وهي:

=صحيح مسلم، المؤلف: أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منْجُويَه، المتوفى (٤٢٨هـ)، ج٢ ص ٣٠٥، تحقيق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١)هـ، حـ٦٣ ص ٣٧٧، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

١- جامع البيان: حـ١٩ ص ٤٤١.

٢- المرجع السابق نفس الجزء ص ٤٤٢.

٣- ينظر: المحرر الوجيز حـ٤ ص ٢٥٥/ مفاتيح الغيب حـ٢٤ ص ٥٥٠.

١- عالم جيولوجيا لديه خبرة وعلم بأنواع التربة، يرى ظاهر الأرض وباطنها، ويعلم أماكن وجود الماء في باطن الأرض فيدل عليه وقت الحاجة إليه، ولذا فهو جندي ذو قدرات خاصة لا غنى عنه في الجيش.

وقد استدل الإمام أبو حيان على علم الهدهد بما في باطن الأرض بقوله تعالى (أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ) حيث قال عند تفسيره للآية: "ولما كان الهدهد قد أوتى من معرفة الماء تحت الأرض مالم يُؤْت غيره، وألهمه الله ـ تعالى ـ ذلك، كان وصفه ربه تعالى بهذا الوصف الذي هو قوله (يُخْرِجُ الْخَبْءَ)، إذ كل مختص بوصفٍ من علم وصناعة، يظهر عليه مخَايلُ ذلك الوصف في رُوائه ومنطقه وشمائله، ولذلك مما ورد (ما عمل عبدٌ عملًا إلا ألقى الله عليه رداء عمله)[١][٢].

٢) المهمة الثانية: جندي من القوات الخاصة المكلفة بخدمة القائد، وذلك على قول من قال: أنه كان يُظل سليمان – عليه السلام – من الشمس.

٣) المهمة الثالثة: جندي مرابط على ثغر من الثغور، وذلك على القول القائل: أنه أخل بالنوبة التي كان ينوبها.

وهناك مهام أخرى ذكرت في ثنايا الآيات منها استطلاع الأخبار، وهذه هي المهمة الرابعة للهدهد الجندي.

عندما غاب الهدهد وتفقده سليمان ولم يجده، توعده بعقوبة شديدة وهي التعذيب أو الذبح، إن لم يكن هناك عذر مقبول لغيابه وعدم حضوره. وفي هذه الأثناء حضر الهدهد، وقال لقائده حين سأله عن تخلفه وغيبته: أحطت بما لم تحط به أنت يا

١- الأثر عن عثمان بن عفان في مصنف الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المتوفى (٢٣٥هـ)، باب:الشّعْبِي حـ٧ ص ٢١١، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٩هـ.

٢- البحر المحيط حـ٨ ص ٢٣١.

سليمان، وجئتك من سبأ بخبر صدق مهم، ثم شرع في بيان ذلك الخبر فقال: إني وجدت امرأة تملك سبأ، وهذه المرأة هي بلقيس بنت شراحيل[1]، ثم استطرد قائلًا **(وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم)**، وذلك كناية عن عظمة ملكها وثرائها، وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع، ولها أيضًا سرير فخم، وذلك يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة، ثم ذكر أنه وجد هذه المرأة وقومها **(يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُون)**.

وبهذا الخبر صار للهدهد عذرًا وحجة عند سليمان – عليه السلام–، درأ به عن نفسه ما كان أُوعد به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدًا له مملكة معه، وكان مع ذلك رجلًا حُببَ إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر والثواب العظيم، حقت للهدهد المعذرة، وصحت له الحجة في مغيبه عن سيدنا سليمان [2].

ويبدو مما سبق أن الهدهد انتقل في حديثه مع قائده من خبر إلى خبر، ومن المهم إلى ما هو أهم منه، وذلك أنه أخبر أولًا باطلاعه على ما لم يطلع عليه سليمان، فيكون بذلك تحصن من العقوبة بزينة العلم الذي حصل له، فتتشوف نفس السامع إلى سماع ذلك، ثم أخبر ثانيًا: بتعلق ذلك العلم، وهو أنه من سبأ، وأنه أمر متيقن لا شك فيه، فزاد تشوف السامع إلى علم ذلك.

١– بلقيس بنت شراحيل الهدهاد بن شرحبيل، ملكت اليمن تسع سنين، ثم كانت خليفة عليها من قبل سليمان بن داود أربع سنوات، قيل: تزوجها داود لما أسلمت. ينظر: (تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١هـ)، حـ٦٩ ص ٦٧، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، طبعة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).

٢– ينظر: جامع البيان حـ١٩ ص ٤٤٥، ٤٤٦ بإيجاز.

ثم أخبر ثالثًا: عن الملك الذي أوتيته هذه المرأة، وذلك قوله تعالى (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم). ولما لم يتأثر سليمان للإخبار بهذا كله؛ إذ هو أمر دنياوي، أخبره بعد ذلك بما يهزه لطلب هذه الملكة، ودعائها إلى الإيمان، وإفراده بالعبادة فقال: (وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ) وكانوا مجوسًا يعبدون الأنوار، وهذه الإخبارات كانت من الهدهد على سبيل الإعتذار عن غيبته، وقد عرف أن مقصد سليمان الدعاء إلى توحيد الله والإيمان به، فكان ذلك عذرًا واضحًا أزال عنه العقوبة، وقام ذلك الإخبار مقام السلطان المبين؛ إذ كان في غيبته مصلحة لإعلام سليمان بما كان خافيًا عنه، ومآله إلى إيمان الملكة وقومها[1].

وبهذا يظهر لنا أن الهدهد قام باستطلاع أخبار الأمم المجاورة دونما تكليف من قائده، حرصًا منه على أمن مملكته، مما كان له عظيم النفع فيما بعد في نصر قائده، والتمكين لدين الله – عز وجل–.

وذلك لأن معرفة أحوال الممالك والأمم من أهم ما يُعنى به ملوك الصلاح ليكونوا على استعداد تام بما يفاجئهم من تلقائها، ولتكون دواعي الازدياد من العمل النافع للمملكة بالاقتداء بالنافع من أحوال غيرها، والانقباض عمّا في أحوال المملكة من الخلل بمشاهدة آثار مثلها في غيرها[2].

وقد أشار أبو القاسم الوزير المغربي في كتابه السياسة إلى أهمية هذه المهمة فقال: "ثم يُوكِل بالأخبار والبحث عن الأسرار فيما قرُب منه وبعُد عنه، وجاوره من ولي وعدو، ومبلَغ ما عندهم من عُدّة، وما يتجدد لهم من عزيمة، وهذا أمر يجب أن يُسْمح به بكل نفيس، ولا يُضن عنه بمال ولو كثُر، فربما دهمه من مجاوريه في غفلة ما يود لو سبق به علمه لو أنفق الأموال الجزيلة عليه"[3].

١– ينظر: البحر المحيط حـ٨ ص ٢٢٨ بإيجاز

٢– التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤٩.

٣– رسالة ضمن مجموع في السياسة، المؤلف: الحسين بن علي بين الحسين أبو القاسم الوزير

وبذلك نرى أنفسنا أمام عمل جليل، قام به هدهد صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، فهو يدرك أن هذه المرأة ملكة، وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله، وأنه يخرج الخبء، وأنه رب العرش العظيم. وما هكذا تدرك الهداهد، إنما هو هدهد خاص أوتي من الإدراك الخاص على سبيل المعجزة الخارقة التي تخالف المألوف، نصرة وتأييدًا لسليمان ــ عليه السلام ــ.

المهمة الخامسة: مراسلة الأعداء:

لما أخبر الهدهد سيدنا سليمان – عليه السلام – بشأن الملكة وقومها، وما هم عليه من عبادة غير الله، أخّر سليمان أمر الهدهد إلى أن يبين له حقه من باطله، فسوّفه بالنظر في ذلك. وإنما شك في خبره؛ لأنه أنكر أن يكون لغيره في الأرض سلطان[1]. كما أنه خشى أن يكون الكلام الذي سمعه من تلقاء الهدهد كلامًا ألقاه الشيطان من جانب الهدهد ليضله ويفتنه بالبحث عن مملكة موهومة ليسخر به كما يسخر بالمتثائب، فعزم على استثبات الأمر بالبحث الذي لا يترك ريبة في صحته[2].

وحرصًا على تصحيح عبادة قوم ضلوا وعدلوا عن الحق والصواب فإنه عليه السلام كان قد زاد قلقه بسجودهم لغير الله؛ ولذا أمر بكتاب، فكتب وأمر الهدهد بغاية الإسراع وكأنه كان أسرع الطير طيرانًا، وأمدّه الله زيادة على ذلك بمعونة منه وإكرامًا لنبيه فصار كأنه البرق، وأشار إلى ذلك بالفاء في قوله (فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ) أي: إلى الذين يسجدون للشمس من دون الله، وذلك للإهتمام بأمر الدين. ثم أمره أن يمكث بعد إلقائه يرفرف على رؤوسهم حتى يتحققوا من أمره وأنه هو الملقي، فأشار إلى

=المغربي، المتوفى (٤١٨)هـ، ص ٥٨، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب بالجامعة – الإسكندرية، الطبعة: الأولى.

١- ينظر: زاد المسير حـ٣ ص ٣٥٩ / المحرر الوجيز ج ٤ ٢٥٧.

٢- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤٩.

ذلك بأداة التراخي **(ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ)**، أي بعد وصولك وإلقائك الكتاب تنح عنهم إلى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه إليك، وانظر ماذا يقول بعضهم لبعض بسبب الكتاب[١].

فإن قيل: إذا تولى عنهم كيف يعلم جوابهم؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: ثم تولّ عنهم مستترًا من حيث لا يرونك، فانظر ماذا يريدون من الجواب.

الثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره، فانظر ماذا يرجعون ثم تولّ عنهم[٢].

ورجح الإمام ابن عطية اتساق ترتيب الآيات؛ أي ألقه ثم تولّ وفي خلال ذلك فانظر، وإنما أراد أن يكل الأمر إلى علم ما في الكتاب دون أن يكون للرسول ملازمة ولا إلحاح[٣].

وذكر الفخر الرازي عند تفسيره للآيات: أن الهدهد دخل عليها من كوة، وألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة[٤].

ويلزم من ذلك أن الملكة قد عرفت أن الرسول هو طائر الهدهد؛ وذلك لأن تبادل الرسائل في ذلك الحين كان معهودًا عن طريق الطير؛ ولذا قالت (أُلقى).

مما سبق من المهام التي كلف بها ذلك الطائر الصغير ظهرت صفات عدة، تَبيّن من خلالها أن هذا الطائر كان نعم الجندي لنعم القائد، وسأتحدث فيما يلي عن صفات الهدهد الجندي وأتبعها بصفات قائده – سليمان عليه السلام – كما وردت في سياق الآيات التي تضمنت مهام الهدهد كجندي في ذلك الجيش المبارك.

١- نظم الدرر حـ١٤ ص ١٥٦.

٢- زاد المسير حـ٣ ص ٣٥٩، ٣٦٠.

٣- المحرر الوجيز حـ٤ ص ٢٥٧.

٤- مفاتيح الغيب حـ١٩ ص ٥٥٤.

أولاً: صفات الهدهد الجندي:

١- الإيجابية: حرص الهدهد على أمن وسلامة مملكته حيث قام بعملية استطلاع جوي للأمم المجاورة لهم دونما تكليف من قائده، وذلك لشعوره بعظم المهام الملقاه على عاتقه، وأنه على ثغر ويخشى أن تؤتى أمته من قبله، ولذلك رجع بخبر شديد الأهمية، وهو خبر أمة مجاورة تعبد غير الله – عز وجل–.

٢- الذكاء والفطنة: جرت سنة الله في خلقه أن يكون للطير إدراك خاص يتفاوت فيما بينه، ولكنه لا يصل إلى مستوى إدراك الإنسان، وحدثت المعجزة مع ذلك الهدهد، فهو أحد أفراد أمة الطير ولكنه تميز بذكاء وفطنة وخرج عن المألوف المعهود للبشر.

وقد ظهر ذلك جليًا عند جوابه لقائده عندما تفقده ولم يجده، حيث بدأ كلامه بتمهيد فيه ترغيب إلى الإصغاء إلى العذر، واستمالة قلبه إلى قبوله، وأنه أمر جليل الشأن يجب أن يتدبر فيه، ليكون فيه الخير له ولمملكته[١].

وقد أشار الزمخشري إلى ذكاء الهدهد فقال: "ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاءًا له في عمله، وتنبيهًا على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علمًا بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفًا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها من فتنة"[٢].

وقد أثنى الإمام أبوحيان على الهدهد وجوابه فقال: "وكان الهدهد – فيما روى – قد علم بما أقسم عليه سليمان، فبادر إلى جوابه بما يسكن غيظه عليه، وهو

١- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المتوفى (١٣٧١هـ)، حـ١٩ ص ١٣١، ١٣٢، الناشر: مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة:الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

٢- الكشاف حـ٣ ص ٣٥٩.

أن غيبته كانت لأمر عظيم عرض له، فقال: أحطت بما لم تحط به، وفي هذا جسارة من لديه علم لم يكن عند غيره"[١].

٣- طاعة القائد واحترامه: ظهرت طاعة الهدهد لقائده واحترامه له في واقعتين:

الأولى: قوله (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) حيث وصف مكثه بقصر المدة للدلالة على إسراعه خوفًا من سليمان – عليه السلام – وليعلم كيف كان الطير مسخرًا له، ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته، وعلى قدرة الله تعالى[٢].

الواقعة الثانية: إسراعه في إيصال الكتاب إلى الملكة، وقد طلب منه قائده ضرورة الإسراع وتوصيل الكتاب، ودل على ذلك العطف بالفاء في قوله (اذْهَب بِّكِتَابِي هَـذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ)، وبالفعل أدى المهمة على أكمل وجه وأسرعه، والدليل على ذلك قول الملكة **(إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيم)** [٣].

٤- الأمانة والدقة في نقل الخبر:

وقد دل على ذلك قوله (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين)، فهو خبر صدق لا شك فيه[٤].

٥- الاهتداء إلى معرفة الله ووجوب السجود له:

ألهم الله الهدهد كما ألهم غيره من الطيور وسائر الحيوان إلى المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها، خصوصًا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها، وجُعِل ذلك معجزة له، قد اهتدى الهدهد إلى معرفة الله، ووجوب السجود له، وأنكر سجود الملكة وقومها للشمس، وأضافه إلى الشيطان وتزيينه[٥].

١- البحر الحيط حـ٨ ص ٢٢٥.
٢- الكشاف حـ٣ ص ٦٣١.
٣- نظم الدرر حـ١٤ ص ١٥٦ بتصرف.
٤- بحر العلوم، حـ٢ ص ٥٧٨.
٥- الكشاف حـ٣ ص ٣٦١.

ولذلك قال الإمام ابن كثير: "ولما كان الهدهد داعيًا إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له نُهي عن قتله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدَّوابّ: النملة، والنحلة، والهدهد، والصرد)[1][2]".

ثانياً: صفات القائد – سليمان عليه السلام –:

١) تفقد أحوال الجند: إن تفقد الجند من شعار الملوك والأمراء، فالملك جديرٌ أن لا يذهب عنه صغير ولا كبير من أخبار رعيته، وأحوال حاشيته، وسيرة خلفائه، والنائبين عنه في أعماله، وذلك بمداومة الإستخبار عنهم[3].

وقد تفقد سليمان – عليه السلام – جنوده، حتى يتبين له من هو منهم موجود، ومن هو منهم مفقود، وذلك لعلمه بأهمية ذلك، فالقائد الذي يغفل عن جنده، ويهمل أحوالهم يصيروا بذلك فريسة لعدوهم من السهل أن يستقطب ضعافهم فيكونوا سببًا للهزيمة والانكسار أمام الأعداء.

٢) تأديب الجند وسياستهم: يتبين لنا من سياق القصة أن سيدنا سليمان توعد الهدهد بعقوبة التعذيب أو الذبح لأن تغيبه من دون إذن عصيان يقتضي عقابه، وذلك موكول لإجتهاد سليمان في المقدار الذي يراه استصلاحًا له إن كان يرجى صلاحه،

١– الحديث أخرجه أبو داواد سلميان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني المتوفى (٢٧٥هـ) كتاب الأدب، باب: في قتل الذر، رقم الحديث (٥٢٦٧)، حـ٤ ص ٣٦٧، والحديث صححه الألباني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا– بيروت/ وسنن ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني المتوفى (١٧٣هـ)، كتاب الصيد، باب: ما ينهي عن قتله، رقم الحديث (٣٢٢٣)، حـ٢ ص ١٠٧٤، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢– تفسير القرآن العظيم حـ٦ ص ١٩٦.

٣– دُرر السلوك في سياسة الملوك، المؤلف: أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي المتوفى (٤٥٠هـ)، ص ١١٠، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن – الرياض.

أو إعدامًا له لئلا يُلقّن بالفساد غيره، فيدخل الفساد في الجند، وليكون عقابه نكالًا لغيره. ولذلك صمم سيدنا سليمان على أنه يفعل به عقوبة جزاءًا على عدم حضوره في الجنود.

ويؤخذ من هذا جواز عقاب الجندي إذا خالف ما عُيّن له من عمل أو تغيّب عنه[١].

فإن قيل: من أين حلّ له تعذيب الهدهد وهو لم يجر عليه القلم؟ كان الجواب: يجوز أن يبيح له الله ذلك لما فيه من المنفعة والمصلحة، خاصة وأن الله سخر له الطير ولم يتم له ما سُخّر له من أجله إلا بالتأديب والسياسة، وكما يجوز للأب أن يؤدب ولده الصغير إذا أذنب، فكذلك جاز له – عليه السلام – تأديب الهدهد إذا كان منه ذنب[٢].

٣- التثبت من الأخبار: عندما أخبر الهدهد قائده بخبر الملكة وقومها لم يتسرع القائد في تصديقه أو تكذيبه، ولم يستخفه النبأ العظيم الذي جاءه به، إنما يأخذ في تجربته للتأكد من صحبته، وذلك شأن النبي العادل والملك الحازم، فقال: (سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين) [٣].

٤ـ الوجازة في الحديث: ظهرت فصاحة سيدنا سليمان – عليه السلام – وبلاغته في الكتاب الذي أرسله إلى الملكة بقليس، حيث وصفته بأنه كتاب كريم فقالت (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيم * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِين) [٤]، فهذا النص القرآني على وجازته يدل على أمور:

١- اشتماله على إثبات الإله، ووحدانيتّه وقدرته وكونه رحمانًا رحيمًا.

٢- نهيهم عن اتباع أهوائهم، ووجوب اتباعهم الحق.

١- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٤٦.

٢- ينظر: الكشاف حـ٣ ص ٣٥٩/ بحر العلوم حـ٢ ص ٥٧٧.

٣- النمل: ٢٧.

٤- النمل: ٢٩، ٣٠، ٣١.

٣- أمرهم بالمجئ إليه منقادين خاضعين.

وبهذا يكون الكتاب قد جمع كل ما لابد منه في الدين والدنيا[١].

٤- جاء الكتاب أيضًا مراعيًا لمقتضى حال المخاطبين، فإن الأنسب في مخاطبة من لا يُحسن لغة المخاطب الاختصار والاقتصار على المقصود لإمكان ترجمته وحصول فهمه، وبذلك أحاط كتاب سليمان – عليه السلام– مع وجازته بالمقصود[٢].

٥- القوة والحزم:

كان سليمان – عليه السلام – قائدًا قويًا حازمًا لا يُستمال عن الحق مهما كانت المغريات، وبدا ذلك عندما جاءته هدية الملكة، وكانت قد استشارت قومها ماذا يفعلون تجاه سليمان بعدما قرأت رسالته، فأشاروا عليها بالحرب ولكنها مالت إلى المصانعة والمهادنة والمسالمة، وقالت: سأبعث إليه بهدية تليق بمثله، وانظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبلها ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجًا نحمله إليه في كل عام، ويترك بذلك قتالنا ومحاربتنا.

ولما وصلت الهدية مع الرسول إلى سليمان قال بكل قوة وحزم: أتصانعوني بالمال لأترككم على شرككم وكفركم؟ لن يكون ذلك أبدًا؛ إن الذي أعطانيه الله من النبوة والملك الواسع الأرجاء والمال الوفير خير مما أنتم فيه، فلا حاجة لي بهديتكم (بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون) [٣] أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام، ثم قال للرسول:(ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُون) [٤][٥].

١- تفسير المراغي حـ١٩ ص ١٣٥.

٢- التحرير والتنوير حـ١٩ ص ٢٦٠.

٣- النمل: ٣٦.

٤- النمل: ٣٧.

٥- ينظر: زاد المسير حـ٣ ص ٣٦٢ بتصرف/ تفسير القرآن العظيم حـ٦ ص ١٧١، ١٧٢.

وبذلك يظهر لنا أن المولى عزوجل وهب سليمان ــ عليه السلام ــ ملكا عظيما، وأنعم عليه بنعم كثيرة، استعان بها ــ عليه السلام ــ فى خدمة دين الله، وفيما فيه خير للناس، ولم يستخدم هذه القوة الهائلة لتحقيق مكاسب شخصية أو مادية أو فيما يضر البشرية، فكان كما أثنى عليه ربه (نعم العبد إنه أواب).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له سبحانه على توفيقه بأن يسر لي إتمام هذا البحث، فله الفضل والمنة وما هذا إلا جهد مقل لا أدّعي فيه الكمال، ولكن عذري أني بذلت قصار جهدي، فإن أصبت فذاك بفضل الله ومنته، وإن أخطأت فمن نفسي.

وإتمامًا للفائدة سأذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

أ- أهم النتائج:

١- الإشادة بالعلم، وعظمة المنة به من الله على عباده، وتفضيل من يؤتاه على كثير من عباد الله المؤمنين.

٢- أن العلم الذي يبعد صاحبه عن ربه، ولا يثمر للناس نفعًا علم فاسد.

٣- أن مفهوم الوراثة في حق الأنبياء لا يقصد به وراثة المال، بل مستعمل في معناه المجازي وهو الإتباع والبعدية، فنبوة سليمان تأهيل واختيار إلهي وليست وراثة.

٤- أن الله خلق للطير والحيوان وسائل للتفاهم هي لغاتهم ومنطقهم فيما بينهم.

٥- أن الله – عز وجل – علم سليمان – عليه السلام – لغة الطير والحيوان بلا محاولة ولا اجتهاد منه – عليه السلام –، ولكن على سبيل المعجزة الخارقة المؤيدة لنبوته.

٦- أن الله – عز وجل – علم سيدنا سليمان – عليه السلام – هذا العلم الخارق ليجعله سبيلاً يهتدي به إلى التعرف على أحوال الأمم المجاورة له.

٧- أن سيدنا سليمان – عليه السلام – كان قاضيًا فقيهًا يتحرى العدل، وكان ذلك سببًا من أسباب التفاف رعيته حوله.

٨- كان من كمال قوة ملك سليمان – عليه السلام – وعزة سلطانه أن الله سخر له جندًا من الجن والطير.

٩- أن سيدنا سليمان استعان بجنده من الجن في أعمال البناء والتعمير وغيرها، ولم يستخدم تلك القوة الخارقة إلا فيما فيه نفع للناس.

١٠- كان للطير دور عظيم في جيش سليمان، وقد ظهر ذلك جليًا في الدور العظيم الذي قام به الهدهد.

١١- أن طائر الهدهد – مع صغر حجمه – كان من خير الجند، وذلك لما تمتع به من الذكاء والفطنة والدقة في نقل الأخبار، والطاعة والاحترام للقائد.

١٢- ظهرت ثمرة العلم وفضل العلماء، حيث استطاع الجندي من الإنس بما عنده من العلم أن يتغلب على نظيره الجني مع ما تميز به الجن من القوة والقدرة على فعل الخوارق.

١٣- يتأتي بالعلم والحكمة ما لا يتأتي بالقوة، فالذي عنده علم من الكتاب كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم أن تتصل ببعض أسرار الكون.

١٤- أن الذي استطاع الإتيان بعرش الملكة جندي من اتباع سيدنا سليمان، وليس سليمان كما اعتقد بعض المفسرين.

١٥- أن الله – عز وجل – سخر لسيدنا سليمان الريح لمصالح الدين والدولة.

١٦- أن الله منّ على سيدنا سليمان بأن أسال له عيناً من النحاس، أو علمه كيف يذيبه –على أحد التفسرين.

١٧- اعتمد سيدنا سليمان على الأسباب التي سخرها الله له مثل (الريح)، و(القطر المذاب) ووظفها من أجل تمكين ملكه وتعزيز سلطانه، فكانت جندًا معيناً له، وسببًا من أسباب قوته.

١٨- أن سليمان – عليه السلام – لم يشغله ملكه الواسع عن عبادة ربه، ولا عن قضاء حوائج رعيته.

١٩- أن سليمان – عليه السلام- سخر ملكه وجنده للدعوة إلى الله، فقد سعى إلى الدعوة إلى الله عن طريق بناء المساجد، قال تعالى **(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ)**، سعى إلى الدعوة إلى الله عن طريق مخاطبة الملوك ومراسلتهم فقال للهدهد **(اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ)**، سعى إلى الدعوة عن طريق الجهاد قال تعالى **(ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُون)**.

٢٠- كان سليمان – عليه السلام – عادلا مع رعيته، مع كثرة ملكه وسعة سلطانه، وقد شمل عدله الطير والحيوان، ولا يخفى علينا قوله للهدهد. **(قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِين)**.

ب- المقترحات:

١- تدريس القصص القرآني لطلاب العلم دراسة تحليلية لإبراز ما فيه من دروس وعبر، فإن القصة القرآنية من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة وإصابة الهدف، ولتوضيح ما فيها من إسرائيليات للاحتراز عنها.

٢- ضرورة العمل على تطوير المنظومة التعليمية بكل مراحلها، للإرتباط الوثيق بين العلم وقوة الأمم وتقدمها.

٣- ضرورة الاهتمام بقطاع الشباب، وتربيتهم بغرس صفات الصالحين فيهم، وتوجيههم نحو العلم المفيد والعمل الجاد النافع.

٤- ضرورة استثمار الموارد البيئية المتاحة فيما يخدم الأمة ويعمل على تقدمها ونهضتها، ولنا الأسوة في سيدنا سليمان – عليه السلام.

٥- ضرورة القيام بواجب الدعوة إلى الله – عز وجل- وعدم الانشغال عن هذه المهمة، فلم ينسى الملك سيدنا سليمان – عليه السلام – الدعوة إلى الله.

حـــ- فهرس المراجع:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى في (٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المتوفى (٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل بيروت.

٣- أسد الغابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفى (٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٠٩١هـ- ١٩٨٩م.

٤- الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥- آكام المرجان في أحكام الجان، المؤلف: محمد بن عبدالله الشبلي الدمشقي الحنفي، أبو عبدالله بدر الدين بن تقي الدين المتوفى (٧٩٠هـ)، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، الناشر: مكتبة القرآن – مصر القاهرة.

٦- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى (٣٧٣هـ)، بدون طبعة.

٧- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي المتوفى (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى (٨١٧)هـ، تحقيق: محمد

على النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٩- تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١)هـ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير التكاب المجيد"، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى (١٣٩٣ه)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس.

١١- تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، تأليف: د / زغلول راغب محمد النجار، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٢- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى (٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

١٣- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ) الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٥- تيسيرالكريم الرحمن في تفسيركلام المنان، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي المتوفى (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن نبن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٧- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكربن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني – إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

١٨- الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم المتوفى (٣٢٧)هـ، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند، ودار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٩- الحيوان، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي أبو عثمان، الشهير بالجاحظ المتوفى (٢٥٥)هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.

٢٠- درر السلوك في سياسة الملوك، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى (٤٥٠)هـ، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: دار الوطن – ارياض.

٢١- رجال صحيح مسلم، المؤلف: أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر بن منْجُويه المتوفى (٤٢٨هـ)، تحقيق: عبدالله الليثي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٢٢- رسالة ضمن مجموع في السياسة، المؤلف: الحسين بن علي بن الحسين أبو القاسم الوزير المغربي، المتوفى (٤١٨هـ) تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، الطبعة: الأولى.

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسني الألوسي المتوفى (١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبدالباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٤- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفتوح عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرازق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٥- سنن أبو داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني المتوفى (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحي، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٦- سنن ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى (٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٨- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ.

٢٩- صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى (٢٦١)هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: داء إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠- الضعفاء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى(٤٣٠هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، الناشر: دار الثقافة – الدار البيضاء.

٣١- الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي المعروف بابن سعد المتوفى (٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة:الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٢- عالم الجن والشياطين، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبدالله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٣- غريب القرآن، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨هـ.

٣٤- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني المتوفى (١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار القلم الطيب – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله المتوفى (٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٦- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المتوفى (٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٣٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى (٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٨ـ المالك والممالك، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي، المتوفى (٣٤٦هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: ٢٠٠٤م.

٣٩- المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المتوفى (٢٣٥)هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

٤١- مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن عمربن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى (٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة، الثالث- ١٤٢٠هـ.

٤٢- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى (٥٠٢)هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

٤٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى (٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٤- النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى (٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

٤٥- الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى (٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - الطبعة: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.